الجوهر الرجعي
للصهيونية

عنوان الكتاب : الجوهر الرجعي للصهيونية

مجموعة مقالات

اختيار وتقديم : أ. مالك صقور

سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم/106/ نيسان

الناشر : اتحاد الكتاب العرب

الإخراج الفني : وفاء الساطي

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الالكتروني: aru@net.sy

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت
http://www.awu.sy

الجوهر الرجعي للصهيونية

مجموعة مقالات

اختيار وتقديم : أ. مالك صقور

سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم (106)

اعرف عدوك

مالك صقور

"حملت معي كل هواجسي وقلقي ومخاوفي على ما يجري في بلدي، وجلست أشرح بإسهاب لصديقي السياسي السويدي المخضرم توماس. ك. بأن كل ما يجري في سورية ليس له علاقة بالمجتمع السوري الذي نعرفه؛ وإن كل مشاهد الذبح والقتل والتكفير غريبة عنا ومستوردة لفرضها على مجتمعنا المتسامح والمتعايش بكل طوائفه بمحبة منذ قرون طويلة، وسألته إذا كان يعرف شيئاً مما يجري في سورية؟؟

هز برأسه موافقاً، وقال بثقة: **فتش عن اليهود**"(1)

***

فتّش عن اليهود!

ولماذا حصل السبي البابلي لهم! فتش عن اليهود، ولماذا صلبوا السيد المسيح؟ فتش عن اليهود، وكيف حاربوا النبي العربي، ووقفوا ضد رسالته؟ ولقد انتصر عليهم في خيبر. فاضطروا أن يغيّروا سياستهم وسلوكهم مؤقتاً!!

فتش عن اليهود!

قبل وعد هرتزل، ووعد بلفور!

إنه تاريخ أسود ملطخ بالدم، وبالمجازر، مستخدمين الدين والمال والإعلام، حتى قبل أن يصبح "الإعلام" إعلاماً!

***

فتش عن اليهود!

يقول الأديب أحمد يوسف داود في كتابه "رقصة الشيطان" وهذا الكتاب من أهم المراجع والمصادر التي يشرّح فيها أ. أحمد يوسف داود تاريخ الصهيونية، ويرد على المجرم العتيق شمعون بيريز يوم أصدر كتابه "الشرق الأوسط" ــ برنامج العمل الصهيوني لنصف القرن المقبل ــ يقول: "وفيما كان السيد شكسبير ينتج (تاجر البندقية) مسرحيته الشهيرة التي يصبّ فيها نقمته العارمة على النهج الشايلوكي اليهودي في التعامل

(وشايلوك، هو المرابي اليهودي في المسرحية المذكورة).. كان العقل السياسي الإنكليزي يتهيأ لفترة كروموبل حيث ستُخترع (الصهيونية) كتنظيم للأصولية اليهودية، وفي وقت كانت فيه إنكلترا (نظيفة تماماً ـ والتعبير لهم هم الإنكليز) من وجود أي يهودي فيها! وكان ذلك التنظيم هو الأساس الذي سيعيد هرتزل البناء عليه لاحقاً"(2).

يؤكد الأستاذ أحمد يوسف داود: إن البحث التاريخي الجاد يظهر بوضوح أن أوروبا هي منتجة أول عصر عبودي عالمي، بالمعنى الدقيق للمصطلح، ويفصّل أيضاً ويوضح ذلك من خلال الأمثلة الدامغة على ذلك، يقول: "وإذا أضفنا إلى هذه النتيجة محصلة ما يستقرئه المرء أيضاً من الأسفار الأساسية في التوراة التي ستصبح (العهد القديم)! ـ وهي محصّلة ترفد تلك النتيجة وتعززها بها ـ فإنه سوف يتأكد من نوعية "الروحية" التي أخضعت لها مسيحية السيد المسيح، حيث هي لم تزد عن أن تصير مجرد قناع لنزوع الامتلاك البراغماتي!..

إن (ثلاثين الفضة) التي قبضها يهوذا لتسليم يسوع، حسب رواية الأناجيل المتداولة، ستكون هي الأهم والأوفر حظاً من التقدير والأجور بالتقديم على سائر ما يتبقى من تلك الأناجيل.. تماماً مثلما كان (العجل الذهبي) وقت غياب موسى "لمقابلة رب

الجنود" هو المعبود الفعلي لبني إسرائيل ـ وحسب التوراة ـ رغم وجود هارون"(3).

ويخلص أحمد يوسف داود إلى النتيجة التالية: "إن ما نريد أن نخلص إليه من وراء ما قلناه في هذا الصدد هو أن الدور اليهودي ـ الدور المتعصب الأصولي والربوي الشايلوكي على وجه الدقة ـ كان دوراً جوهرياً في إرساء العصر الذي سيصير رأسمالياً/ امبريالياً مقوداً بالمكر والحقد "لبيوريتانيين*، مثلما سيستمر دوراً رئيسياً في مجموع التطورات اللاحقة عبر نمو هذا العصر. وهذه، بالطبع، ليست "أكذوبة ماركسية"، على الإطلاق، ولا دعاية مضادة أو "موقفاً لا سامياً"(4).

ويُعدُّ أحمد يوسف داود، إن دخول المال الشايلوكي في صلب البنيات والعمليات البنيوية الرأسمالية المتنامية قد أعاد إحياء أسوأ ما في أسفار "العهد القديم" من نزعات وأحقاد وطموحات عنصرية شوفينية عرقية.. ونزع عنها كل قناع رمزي محتمل وصبّها جميعاً في صيغة "مشروع استيطاني" في ما عرف

---

* كلمة بيورتاني تعني: "طهراني"، في الأصل، لكنها مصطلح يدل على اللؤم الحاقد والدهاء الماكر اللذين يحركان طهرانية التشدد في التزام التعاليم الأساسية الإبادية عند التعامل مع من يعتبرون خصوماً.

باسم "الوطن القومي لليهود" وكل ذلك بإشراف ومشاركة بيورتيانيين كاملين!!

***

نعم! فتش عن اليهود!

يقول الباحث محمد السمّاك، في كتابه: (الأصولية الإنجيلية) أو (الصهيونية المسيحية، والموقف الأمريكي: تقول اليهودية في المسيحية:

"يسمح لليهودي أن يكذب ويشهد زوراً للإيقاع بالمسيحي. فاسم الرب لا يدنس ولا يُحلف به، حين تكذب على المسيحيين".

"يجب على اليهود السعي الدائم لغش المسيحيين"

"من يفعل خيراً للمسيحيين، فلن يقوم من قبره".

ويستشهد السماك، بوثيقة هامة، كيف استطاع اليهود قصم ظهر الكنيسة الكاثوليكية:

..."..والآن دعونا نوضح لكم كيف مضينا في سبيل الإسراع بقصم الكنيسة الكاثوليكية، فاستطعنا التسرب إلى دخائلها الخصوصية، وأغوينا البعض من رعيتها (كهنتها الداخليين) ليكونوا رواداً في حركتنا، ويعملون من أجلنا.

أمرنا عدداً من أبنائنا الدخول في جسم الكاثوليكية، مع تعليمات صريحة بوجوب العمل الدقيق والنشاط الكفيل بتخريب الكنيسة من قلبها، عن طريق اختلاق فضائح داخلية. ونكون بذلك قد عملنا بنصيحة أمير اليهود الذي أوصانا بحكمة بالغة: دعوا بعض أبنائكم يكونوا كهنة ورعاة أبرشيات، فيهدموا كنائسهم. ومع الأسف الشديد، لم يبرهن جميع اليهود من أبناء العهد، لكن الآخرين حافظوا على عهدهم، ونفّذوا مهماتهم بشرف وأمانة.

نحن آباء جميع الثورات التي قامت في العالم، حتى تلك التي انقلبت علينا أحياناً، ونحن أيضاً سادة الحرب والسلام، بدون منازع، ونستطيع التصريح اليوم بأننا نحن الذين خلقنا حركة الإصلاح الديني للمسيحية. فكالفين كان واحداً من أولادنا، يهودي الأصل، أُجر بحمل، أمر بحمل الأمانة، بتشجيع اليهود ودعم المال اليهودي، فنفذ مخطط الإصلاح الديني، كما أذعن مارتن لوثر لإيحاءات أصدقائه اليهود، وهنا أيضاً، نجح برنامجه ضد الكنيسة الكاثوليكية، بإرادة المسؤولين اليهود وتمويلهم.

حتى اليوم تمكنا من قلب الأنظمة القائمة في معظم ممالك أوروبا، والبقية آتية لا ريب عما قريب، فروسيا شرعت في تمهيد الطريق لمسيرتنا، فرنسا، بحكومتها الماسونية، تحت إصبعنا،

إنكلترا، باعتمادها على تمويلنا، تحت قدمنا، ولكونها بروتستانية فهي معولنا في القضاء على الكنيسة الكاثوليكية، أما إسبانيا والمكسيك فهما دميتان بأيدينا، وثمة دول عديدة، علاوة على الولايات المتحدة الأمريكية، واقعة في شراكنا.

إن معظم صحف العالم تعمل تحت سيطرتنا، فلنغذّ عن طريقها ــ بقوة وفعالية أكثر ــ الحقد العالمي على الكنيسة الكاثوليكية.

ولنمضِ، لدعم وتقوية مخططاتنا، بتسميم أخلاق الأغيار، ننشر روح "الثورة" بين الجماهير، نشجعها على احتقار الوطنية، وازدراء وحدة العائلة، والارتباط بمحبتها، واعتبار الدين، أي دين، هراء ومضيعة للوقت وقضية سبقها العصر ولم تعد تتماشى مع متطلباته.

ثم أخيراً، لنتذكر دائماً أن ملك اليهود المنتظر لن يرضى بحكم هذا العالم، قبل خلع البابا عن كرسيه في روما، والإطاحة بجميع ملوك العالم"(5).

ويقول الباحث محمد السمّاك: "كان اليهود يتعرضون للاضطهاد والتحقير في المجتمعات الأوروبية وهي في مراحلها المتخلفة، حاول اليهود معالجة هذه المشاعر بشتى الوسائل، وكان **الدين** أنجعها. سربوا إلى الكنيسة عبر حركة الإصلاح

الديني معتقدات تقول: (**إنهم شعب الله المختار**) وأن الله يحب من يحسن إليهم ويعاقب من يعتدي عليهم.

فكرة "الشعب" طرحت فكرة "الوطن"، إذ كيف يكون لله شعب ولا يكون لشعب الله وطن؟

ويتابع السماك قوله: "كان العداء للإسلام والرغبة في قهر العرب من العوامل الرئيسة التي شجعت "الصهيونية المسيحية" على تجاهل الحقوق الطبيعية للفلسطينيين، الشعار الذي رفع منذ منتصف القرن التاسع عشر والذي يقول عن فلسطين: إنها "أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض، ينكر حتى وجود الشعب الفلسطيني، بمسلميه وبمسيحييه على حد سواء.

وقفت الكنيسة الكاثوليكية ضد حركة "الإصلاح" الديني ووقفت ضد مبدأ إقامة وطن يهودي في فلسطين. وتصدّت للمشاريع الصهيونية (المسيحية اليهودية) قبل وبعد صدور وعد بلفور، وحتى قبل وبعد اعتراف الأمم المتحدة بإسرائيل، كانت الكنائس المشرقية أكثر تطرفاً في رفضها للصهيونية، وإن لم تكن بالضرورة أكثر فعالية، غير أن هذه المواقف لم تجد جسراً تعبر عليه إلى عمل إسلامي مسيحي مشترك حتى الآن"(6).

يقول الباحث محمد السمّاك في كتابه هذا: "كانت فرنسا تدعي حماية الأقليات المسيحية في الشرق، وكانت روسيا تدعي

حماية الأقليات المسيحية في الشرق، وكانت روسيا تدعي حماية الأقليات المسيحية الأرثوذكسية، ولم تكن الدعوة المسيحية الإنجيلية قد وصلت إلى الشرق بعد، فكان طبيعياً أن يبحث اللورد بالمرستون عن أقلية تدّعي بريطانيا حمايتها، وقد وجد في اليهود ضالته المنشودة، وهكذا تكاملت المصلحة الاستراتيجية البريطانية مع الصهيونية المسيحية، ووظفت النبوءات الدينية لتكون مدخلاً إلى تحقيق هذا التكامل السياسي ـ الديني"(7).

وهكذا أنشأ اللورد بالمرستون في عام 1838 أول قنصلية لبريطانيا في القدس، استجابة لإلحاح اللورد شافتسبري وبالمناسبة، إن شافتسبري هو أول من طرح شعار: **"وطن بلا شعب لشعب بلا وطن"**. وقد اختار بالمرستون صهيونياً مسيحياً وصديقاً للورد شافتسيري هو وليم يونغ ليكون أول نائب لقنصل بريطانيا في القدس.

تحت عنوان "الصهيونية المسيحية الأمريكية" يقول السماك:

"وقد بلغ من تأثير الصهيونية المسيحية على الرواد الأوائل في أمريكا حداً اقترح معه الرئيس جيفرسون اتخاذ رمز لأمريكا يمثل إسرائيل تظللهم غيمة في النهار، وعمود من نور في الليل بدلاً من شعار النسر، وذلك توافقاً مع ما يتضمنه سفر الخروج،

وارتفعت منذ عام 1814 الدعوات الأمريكية الإنجيلية لتوطين اليهود في فلسطين. وبناء على ذلك، هاجر أحد رواد الحركة الصهيونية المسيحية الأمريكية وردر جريسون من أمريكا إلى فلسطين واعتنق اليهودية، وعمل مستشاراً للحكومة الأمريكية في القدس. وكان نشاطه يتمركز حول موضوع واحد هو إقامة وطن يهودي في فلسطين"(8).

ومن ثم، يفصل محمد السماك، كيف جهدت أمريكا، لتوطين اليهود في فلسطين، وكيف تعاونت مع جهات مختلفة لتحقيق هذا الغرض، قبل وبعد وعد بلفور، حتى قيام الكيان الغاصب المغتصب في فلسطين.

***

عندما أخفق نابليون بونابرت في احتلال سورية من بوابتها الجنوبية ـ فلسطين، وانهزم على أبواب عكا، أطلق النداء الشهير في 1799/5/22:

"إن العناية الإلهية التي أرسلتني على رأس هذا الجيش إلى هنا، قد جعلت رائدي العدل. وكفلتني وجعلت من القدس مقري العام وهي التي ستجعله بعد قليل في دمشق التي يضيرها جوارها لبلدة داود" يا ورثة فلسطين الشرعيين:

إن أمتكم العظيمة تناديكم الآن لا للعمل على إعادة احتلال وطنكم فحسب بل إلى مؤازرة الأمة لتحفظوها مصونة من جميع الطامعين بكم لكي تصبحوا أسياد بلادكم الحقيقيين.

انهضوا وبرهنوا أن القوة الساحقة التي كانت لأولئك الذين اضطهدوكم لم تفعل شيئاً بسبيل تثبيط همة أبناء هؤلاء الأبطال التي مخالفة إخوانهم تشرف إسبارطة وروما.

أيها اليهود:

أيها الشعب الفريد الذي لم تستطع قوى الفتح والطغيان أن تسلبه اسمه ووجوده، انهضوا أيها المبعدون فإن فرنسا تقدم لكم إرث إسرائيل. إن فرنسا تضمن لكم إرثكم ومكانتكم بين شعوب العالم، وتضمن لكم حقكم الذي سلب منكم لآلاف السنين، "يهوه" طبقاً لعقيدتكم وإلى الأبد".

***

في العدد 1211 من مجلة روز اليوسف الشهيرة، الصادر في 1951/8/28 ظهر مقال بعنوان: "روز اليوسف تحصل على أخطر كتاب في العالم قالت فيه:

"تمكنت إحدى الجهات المصرية الرسمية من الحصول على كتاب خطير: "الخطر اليهودي" بروتوكولات حكماء صهيون" دفعت ثمناً له خمسمئة جنيه ولعلها النسخة الوحيدة الموجودة في الشرق..

والبروتوكولات، بالأصل، هي محاضر الجلسات المتعددة وكان عددها (24) جلسة. ولكن الاسم "بروتوكولات حكماء صهيون" هو الشائع لها، وهو الذي اعتمدته الترجمة العربية التي قام بها "محمد خليفة التونسي".

والذي سرّبها العالم الروسي سيرغي نيلوس، والذي بدوره استلمها من "أليكس نيقولا نيفتش"، فقام بتدقيقها ودراستها على ضوء الوقائع التاريخية التي يمر بها العالم، وعلى ضوء ذلك كله وصفها بقوله:

"هذه الوثائق قد انتزعت خلسةً من كتاب ضخم فيه محاضر خطب وأطلق عليها اسم: "بروتوكولات حكماء صهيون".

أما عبارة "الخطر اليهودي" فهي من وضع مراسل جريدة "المورننغ بوست" اللندنية: فيكتور مارسدن.

ومنذ ذلك الحين أصبح لهذه الوثائق اسمان مختلفان:

1 ـ "الخطر الصهيوني، أو اليهودي".

2 ـ بروتوكولات حكماء صهيون".

وقد وصلت هذه الوثائق إلى يد "إليكس نيقولا نيفتش" من سيدة فرنسية اختلستها من أحد الأوكار الماسونية في فرنسا، وفرّت بها إلى روسيا، فسلمها بدوره إلى الأستاذ نيلوس، لأنه الأقدر على نشرها والانتفاع بها وكان ذلك في سنة 1901.

فبادر نيلوس إلى طباعتها باللغة الروسية وتوزيعها.

فثارت عواطف الروس، ضد اليهود، وقتلوا منهم في روسيا بمذبحة واحدة عشرة آلاف شخص. وهذا مما دعا زعماءهم إلى الاستماتة في تكذيب علاقة اليهود بالبروتوكولات وبراءتهم منها.

لكن هيرتزل، الذي أطلق عليه اليهود اسم "داوود الثورة" أو "موسى الجديد" أصدر عدداً من النشرات ووزعها بشكل واسع قال فيها: "إن بعض الوثائق سرقت من قدس الأقداس وهي وثائق سرّية قُصد إخفاؤها عن غير أصحابها ولو كانوا من أعاظم اليهود. وإن ذيوعها قبل الأوان يعرّض اليهود في العالم إلى شر النكبات".

ولذلك، بدأ اليهود يتتبعون الكتاب أينما وجد، وبأية لغة فيجمعون نُسخة ويحرقونه مستعينين بالمال والنساء والاغتيال. وكانت آخر نسخة ترجمت إلى الألمانية من الإنكليزية عام 1919.

وفي رواية أخرى تقول: إن البوليس السري القيصري، داهم المؤتمرين في "بازل" بعد أن أخبره جواسيسه المجربون بمكان وتوقيت المؤتمر، فصادر البوليس فيما صادر مجموعة البروتوكولات.

وهنا، سأحاول تلخيص هذه البروتوكولات، لأن الحيز لا يسمح.. يقول الأستاذ محمد خليفة التونسي في مقدمة ترجمته للمطبعة الأولى:

"لو أن مجتمعاً من أعتى الأبالسة والأشرار قد انعقد لتتبارى طوائفه منفردين أو متعاونين في ابتكار أجرم خطة لتدمير العالم واستعباده، إذن لما تفتق عقل هؤلاء الأبالسة إجراماً وخسّة وعنفاً عن مؤامرة أكثر شراً من هذه المؤامرة التي تمخض عنها المؤتمر الأول لحكماء صهيون سنة 1897، وفيه دَرَسَ المؤتمرون خطة إجرامية لتمكين اليهود من السيطرة على العالم، وهذه البروتوكولات توضح أطرافاً من هذه الخطة:

البروتوكول الأول:

1 ـ جميع الشعوب البشرية غير اليهود هم "غوييم" ـ أي رعاع ـ هذا الفرز اختص به اليهود دون غيرهم فهم يعبرون بالغوييم عن عواطف الاحتقار والاشمئزاز والترفع.

2 ـ إهدار مصلحة الغير تحقيقاً للغرض الشخصي هو أمر مشروع كذلك، مشروعة القوة التي تستخدم في هذا السبيل. لأن ذلك يمنع الوحوش البشرية من الافتراس.

3 ـ السياسة لا تتفق مع الأخلاق. والحاكم المفيد للأخلاق هو سياسي فاشل، والأمانة تصبح في المفهوم السياسي رذيلة إذ تبلغ في زعزعة الحكم أكثر مما يبلغه أحد الخصوم فالحاكم الناجح لا يستطيع الاستثناء عن المكر والكذب والرياء...

أما الحق، فهو فكرة لا تستطيع البقاء إن لم تحكمها القوة. بل هو كلمة تتلخص في المفهوم التالي: "أعطني ما أريد لتمكنني من أن أبرهن لك بهذا على أني أقوى منك".

4 ـ الغاية تبرر الوسيلة. وعلينا ونحن نضع خططنا ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي بمقدار ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد وكل من يريد إنقاذ خطة عمل تناسبه عليه أن يستحضر في ذهنه حقارة الجمهور وتقبله وحاجته إلى الاستقرار... ثم إنه لا

يمكن الوصول إلى الخير إلا باستخدام طرق الشر. لذلك، يجب ألا نتردد لحظة واحدة في أعمال الرشوة والخديعة إذا كانت تخدمنا في تحقيق غايتنا.

5 ـ نحن أول من صاح في الناس "الحرية والمساواة والإخاء" فرددتها وراءنا ببغاوات جاهلة متجمهرة في كل مكان حول هذه الشعائر، لقد جلبت تلك الصيحة إلى صفوفنا كثيراً من الجماهير دون دراية منها: إن هذه المفاهيم هي كلام ليس له أي رصيد عملي في الواقع.

فالمساواة: هي ضد قوانين الطبيعة التي رفضتها في الإنسان والحيوان والنبات والجماد.

والحرية: هي أيضاً كلمات جوفاء لأنها ترتبط على الدوام بحقوق الآخرين.

أما **الإخاء**: فهو مخدر يفعل في العقل مثلما تفعل الخمرة وحينما يستفيق المخمور يجد أن شعوره الأخوي إنما تقرر المصلحة حجمه وحدوده.

البروتوكول الثاني:

سوف تكتسح خططنا كل قوانين العالم. وسنحكمه بالأسلوب الذي تحكم به الحكومات رعاياها. وسنختار

الرؤساء الإداريين ممن لهم ميول العبيد ليكون من اليسير علينا أن نمسخهم قطع شطرنج ضمن لعبتنا في أيدي حكمائنا الذين دربناهم على حكم العالم. لا تتصوروا أن تصريحاتنا جوفاء. فنحن الذين رتبنا نجاح "دارون" و"ماركس" و"نيتشه".

البروتوكول الثالث:

1ـ إننا على مدى خطوات من هدفنا ولم تبق إلا مسافة قصيرة، كي تتم الأفعى الرمزية (وشعار شعبنا) دورتها، وحينما تغلق هذه الدائرة ستكون كل دول أوروبا محصورة فيها بأغلال لا تكسر.

2ـ الناس مستعبدون للفقر. وكل ما يسمى حقوق الإنسان لا وجود له في الواقع العلمي. إذ ماذا يفيد عاملاً أجيراً، أضنى العمل الشاق ظهره، أن يجد ثرثاراً أو صحفياً يقول أو يكتب عنه، ما يشاء؟ ماذا يستفيد العمال من الدستور إذا كان لا يمنحهم غير ما نطرحه إليهم من فضلاتنا؟

3ـ إن قوتنا تكمن في أن يبقى العامل في فقر ومرض دائمين لأننا بذلك نستبقيه عبداً لإرادتنا، والجوع يخولنا عليه حقوقاً لا حدود لها.

4ـ تذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها الثورة الكبرى، إنها من صنع أيدينا، ومن ذلك الحين نقود الأمم من خيبة إلى خيبة.

5ـ إن كلمة الحرية تزج المجتمع في نزاع مع كل القوى حتى قوة الطبيعة، وقوة الله، لذلك علينا حين نستحوذ على السلطة أن نمحو الحرية من معجم الإنسانية، باعتبار أنها رمز القوة الوحشية الذي يمنح الشعب إلى حيوانات متعطشة للدماء.

البروتوكول الرابع:

1ـ من ذا يستطيع أن يخلع قوة حقيقية عن عرشها؟ هذا هو بالضبط ما عليه حكومتنا الآن. إن المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم ليعمل في غفلة كقناع لإخفاء أغراضنا.

البروتوكول الخامس:

في المجتمع الذي تفشت فيه الرشوة والفساد وتقوم حكومتنا على أساس المركزية الشديدة التي تعتبر الرعايا أجزاء كثيرة في ماكينة الدولة، فتكبح كل حرية، ونطبق

استبداداً يجعلنا أقوياء على الخصوم... ونقوي نزعة النعرات الطائفية والتعصب الديني، والأغراض الشخصية...

والقيام بالإجراءات التالية:

- احتكار الصناعة والتجارة عن طريق حرية التملك.
- تجريد الشعب من السلاح تجريداً دقيقاً شاملاً .
- الإكثار من نقد السلطات القائمة وتجريحها عن طريق العملاء.
- بث الوعود الجوفاء عن طريق الخطباء الثرثارين الذين ينهكون الشعب بخطبهم ومبالغاتهم.
- تراكم الأخطاء في الحكومات القائمة بين أفراد الشعب حتى يستحيل على أي شخص أن يفكر بوضوح(9).

وهكذا تمضي البروتوكولات الأربع والعشرون على هذا النهج، من الكذب، والرياء، والتزوير، وإحياء النعرات الطائفية، وتفشي الرشوة والفساد، والعمل على الانقلابات، وخلق المؤامرات.

وكل ذلك ليصبح الصهاينة اليهود سادة العالم.

***

"سوف تضحكون مني إن قلت لكم: إن الدولة اليهودية سوف تصبح واقعاً حياً بعد خمسين سنة. نعم بعد خمسين سنة سوف تقوم دولة اليهود، وسوف تكون واقعاً دولياً" هذا ما قاله هرتزل عام 1898 ـ بعد سنة من مؤتمر (بال) في سويسرا مخاطباً اليهود..

ذلك كان تنبؤاً من هيرتزل، وحلماً خيالياً، لكن تحقق بعد خمسين عاماً بالضبط.

ففي عام 1948 اعترفت الأمم المتحدة بدولة اليهود في فلسطين.

***

يقول (وايزمن) الذي استلم القيادة الصهيونية من هرتزل، في مذكراته: "نحن اليهود الصهيونيين كنا نسعى لإقامة دولة لنا في فلسطين. وقد انتدبنا الإنكليز لحكمها واستعنّا في هذا بعصبة الأمم. فنحن الذين سلمنا فلسطين إلى الإنكليز مؤقتاً، وليس الإنكليز هم الذين وهبوها لنا بعد ذلك، لكن وايزمن نفسه يناقض نفسه، فيقول:

"لقد احتضنت بريطانيا حركة الصهيونية منذ نشأتها وأخذت على عاتقها تحقيق أهدافها، ووافقت على تسليم

فلسطين خالية من سكانها العرب إلى اليهود سنة 1934 ولولا الثورات المتعاقبة التي قام بها عرب فلسطين لتم إنجاز هذا الاتفاق في الموعد المذكور".

لقد بذل وايزمن جهوداً مضنية حتى أقنع الحلفاء باشتراك اليهود في الحرب ضد المحور، فقبلوا أن يشكلّوا (فرقة البغالة) التي تبقى خلف الجيوش لحماية المؤن والذخائر فكانت تلك الفرقة وعملها الخاص نواة الجيش الإسرائيلي والعلم الإسرائيلي فيما بعد.

وعن إنجاز وعد بلفور يقول وايزمن في المذكرات:

"لقد مكثت منتظراً عشر ساعات في بهو الوزارة البريطانية، وهي مجتمعة لوضع صيغة الوعد. فكان بلفور يخرج من الاجتماع ليطلعني على مسوّدة الوعد فأقوم بتعديلها، وبعد أن وضعت التعديل عدة مرات اعتمدت الصيغة النهائية التي كتبت بخط يدي".

ولا ينسى وايزمن في مذكراته أن يشكر الأمير فيصل بن الحسين والضابط لورانس، يقول: "في أثناء التقائي في العقبة بالأمير فيصل، شرحت له أن البلاد تتسع للعرب واليهود جميعاً وبينت له حاجتنا إلى مساعدته الأدبية، فأعرب عن رغبته في أن يرى العرب واليهود فيتعاونان في مؤتمر السلام، وقال: إن

مستقبل الشعبين مرتبط بالشرق الأوسط، وأن واجب الشعبين الاستعانة بصداقة الدول الكبرى، وقد استمر حديثنا ساعتين، واقترح الأمير في نهاية الحديث أن تؤخذ لنا صورة معاً: وقد وضعت هذه المقابلة حجر الأساس لصداقة متينة بيني وبين الأمير فيصل.

ويتابع وايزمن قوله في مذكراته قائلاً: "يقضي الواجب علي أن أثني أعظم ثناء على الخدمات التي قدمها (لورانس) للقضية اليهودية، لقد كان يتردد إلى منزلي في لندن من غير رسميات ولا كلفة وكان موقفه من الصهيونية موقفاً إيجابياً لاشك فيه"(10).

***

في 1918/8/31 بعث الرئيس الأمريكي ودرو ولسون مذكرة إلى الحاخام ستيفن وايز يبلغه فيها موافقته على وعد بلفور. جاء في المذكرة: "راقبتُ باهتمام مخلص وعميق العمل البنّاء الذي قامت به لجنة وايزمن في فلسطين بناء على طلب الحكومة البريطانية. وأغتنم الفرصة لأعبر عن الارتياح الذي أحسست به نتيجة تقدم الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة، والدول الحليفة منذ إعلان السيد بلفور باسم حكومته عن إقامة

وطن قومي لليهود في فلسطين، ووعده بأن تبذل الحكومة البريطانية قصارى جهدها لتسهيل تحقيق ذلك الهدف مع الحرص على عدم القيام بأي عمل يلحق الأذى بالحقوق المدنية والدينية لغير اليهود في فلسطين أو حقوق اليهود ووضعهم السياسي في دول أخرى"(11).

هذا الموقف للرئيس الأمريكي ولسون أملته عليه في الدرجة الأولى تربيته الدينية كابن لقسيس إنجيلي يؤمن بأن الله أعطاه فرصة تاريخية لتحقيق الإرادة الإلهية بمساعدة شعب الله المختار على استعادة الأرض التي خصّه الله بها...

***

عندما صدر وعد بلفور عام 1917 كان اليهود يملكون من أراضي فلسطين 2،5٪ وعندما صدر قرار التقسيم عام 1947 صار اليهود يملكون 6،5٪ أما في عام 1985 فصاروا يملكون بين 90 ـ 93٪ من أراضي فلسطين...

***

ولا داعي للتفصيل في جرائم الصهيونية بعد احتلال فلسطين، عام 1948 لأن ذلك معروف للجميع، ومن العار أن لا يعرف كل عربي هذه الجرائم، التي تلطخ تاريخ البشرية جمعاء.

وعلى الرغم من كل شيء، وعلى الرغم من تفرق العرب وتشرذمهم وذهاب ريحهم، وعلى الرغم من اختلاف الفصائل الفلسطينية وما آلت إليه أمور السلطة الفلسطينية الخ، ستبقى فلسطين لأهلها، لشعبها، ستبقى عربية مهما طال الزمن، وهاهوذا موشي ديان يعبّر عن ذلك قائلاً:

"نحن جئنا إلى أرض مسكونة، وبنينا فيها دولة يهودية، والعرب لا يطيقون ما قمنا به، ولهذا فإننا محكومون بحالة واحدة دائمة من العداء، **فنحن كقلب مزورع في جسد يرفضه بقية أعضائه**".

***

أما بعد!

عزيزي القارئ، هذا غيض من فيض عن الصهيونية وجرائمها وكيف أسست، وكيف ترعرعت، وكيف قوي عودها، واستملكت، ولا تكفي عشرة مجلدات للحديث عن تلك الجرائم، وعن تاريخها الأسود المجبول بالدماء، والتآمر،

والتزوير، والخداع، باختصار: **إن الصهيونية هي عدو البشرية والإنسانية جمعاء.**

والسؤال:

يا أيها العربي!

متى تعرف عدوك. ومتى تلم شملك، ومتى تستيقظ شهامتك، ونخوتك. فلولا **سورية** ــ الماضي والحاضر والمستقبل، لا وجود لك.

هذا الكتاب الذي بين يديك (الجوهر الرجعي للصهيونية) هو مقالات كتبت في مطلع سبعينيات القرن الماضي بأقلام صحفيين وكتاب سوفييت، وغير سوفييت، نعيد اليوم نشره، لأهميته، ولمعرفة أن الصهيونية والوهابية والجماعات أو العصابات التكفيرية اليوم ما هي إلا وجوه لعملة واحدة تخضع للحكومة السرية العالمية ألا وهي الماسونية.

إحالات:

1ـ يعقوب مراد. في حضن الشيطان (رواية حقيقية)، رحلة تحري عن خفايا الحرب على سورية ـ مطبوعات: وزارة الثقافة ـ الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق ـ 2016 ـ ص 11.

2ـ أحمد يوسف داود، رقصة الشيطان، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، عام 1995 ـ ص 26.

3ـ المصدر نفسه، ص 23.

4ـ المصدر نفسه، ص 28.

5ـ محمد السمّاك: (الأصولية الإنجيلية، أو الصهيونية المسيحية والموقف الأمريكي) ـ مركز دراسات العالم الإسلامي، 1991 ـ ص 8 ـ 9.

6ـ المصدر نفسه ص 16 ـ 17.

7ـ المصدر نفسه ص 48.

8ـ المصدر نفسه ص 65.

9ـ د. أحمد عمران الزاوي، كتابات من الجحيم وعقائد معجونة بالدماء، دمشق ـ دار المجد ـ 2001.

10ـ المصدر نفسه، ص 288 ـ 289.

11ـ أوراق ولسون، مكتبة الكونغرس ـ واشنطن ـ الملف 6 ـ رقم 618.

مقدمة

يضم هذا الكتاب، المقدم إلى القارئ العربي، مجموعة من مقالات الدوريات السوفييتية ووثائق الحزب الشيوعي الإسرائيلي. وهو مكرس لفضح أيديولوجية وتنظيم ونشاط الصهيونية العالمية.

وتبين مواد الكتاب، على نحو جلي، أن الصهيونية ــ تلك الحركة القومية البرجوازية الرجعية ــ تضطلع منذ ظهورها، وعلى الأخص منذ قيام دولة إسرائيل، بدور الأداة في أيدي الإمبريالية والبرجوازية اليهودية الكبيرة التي تعد جزءاً لا يتجزأ من الرأسمال الاحتكاري الدولي.

إن عدوانية الصهيونية في الشرق الأوسط ونشاطها التخريبي في المناطق الأخرى من العالم ليتطلبان الردع الحازم من جانب كافة القوى التقدمية. وتلعب البلدان الاشتراكية وعلى رأسها

الاتحاد السوفييتي، والحركة الشيوعية والعمالية العالمية، وحركة التحرر الوطني الدور الأساسي في مكافحة الصهيونية.

***

وفي الظروف الراهنة تعتمد الصهيونية العالمية أساساً على الأساليب السياسية والأيديولوجية في محاولتها للخروج من الأزمة التي تقع فيها الحركة الصهيونية أعمق فأعمق.

ويتميز تصاعد أزمة الصهيونية في حقلي النظرية والتطبيق على الصعيدين الإسرائيلي والدولي بعدد من المغامرات العدوانية قامت به إسرائيل في أعوام 1948، 1956، 1967، 1973.

إن الأساس النظري الأيديولوجي للصهيونية، وهو زائف ورجعي بطبيعته، قد كشف عن كل تهرؤه من خلال تطبيقه العملي.

ذلك أن "وحدانية وتفرد" الواقع الاجتماعي "لليهودية العالمية"، وإقامة "وطن مستقر للبعث القومي" عن طريق الهجرة اليهودية إلى إسرائيل، واستعادة الشخصية "الحقيقية" لليهودي، والشعارات الصهيونية الأخرى قد وجدت التعبير عنها في السياسة الرجعية الداخلية والخارجية للدوائر الصهيونية الحاكمة في إسرائيل، الأمر الذي حول البلاد إلى جيتو قومي كبير يتعرض

اليهود فيه للخطر أكثر مما يتعرضون له في أية بقعة أخرى من الكرة الأرضية.

ولقد أدى إفلاس الخط العام للسياسة الخارجية والداخلية إلى التركيز على وضع نظريات جديدة ولا سيما نظرية العلاقات الخاصة بين إسرائيل و"الشتات". وإلى جانب شعار الصهيونية التقليدي: "يهود الشتات يحتاجون إلى دولة إسرائيل" ظهر الشعار الجديد: "دولة إسرائيل تحتاج إلى يهود الشتات"، أي تحتاج إلى كافة أشكال المؤازرة من اليهود الذين ظلوا خارج إسرائيل. وفي المؤتمر الصهيوني السادس والعشرين، المنعقد في ديسمبر (كانون الأول) 1964 ــ يناير (كانون الثاني) 1965، طرح شعاران: "فلنتجه نحو الشتات"، "توحيد اليهود في جميع البلدان التي يعيشون بها". ويرجع هذا "التطوير" في الفكر الصهيوني إلى افتضاح الغيبيات الفكرية والسياسية للتنظيم الصهيوني الدولي.

من المعروف أن المذهب الصهيوني يفترض أن أجزاء مما يسمى بالشعب اليهودي توجد، فضلاً عن إسرائيل، في مختلف بلدان العالم. وعقب إنشاء إسرائيل سرعان ما اتضح زيف ادعاء الصهاينة بتجميع كافة اليهود في دولة واحدة، مما أثار داخل الحركة الصهيونية مجموعة من التناقضات الأيديولوجية والدعائية المتزايدة الحدة المستعصية الحل. ومن هنا طرحت

مسألة إعادة النظر في النظرية الصهيونية التي تزعم أن اليهود في أي مكان من العالم ما عدا الدولة الخاصة بهم إنما هم "منفيون". فكثيرون من اليهود في بلدان الغرب ولا سيما في الولايات المتحدة يرون أن استخدام مصطلح "المنفيين" لا ينطبق عليهم. وتنعكس وجهة النظر هذه في صياغة برنامج أورشليم لعام 1968 الذي يعلن أن الهدف هو "توحيد الشعب اليهودي" بدلاً من جمع "شتات المنفيين".

إلا أن تعديل الصياغة لا يخفف من حدة المشاكل الناجمة عن فشل الأفكار والسياسة الصهيونية. وفي المقام الأول يطرح ما يسمى بمشكلة "الولاء المزدوج" الذي يدين به المواطنون اليهود المؤيدون للصهيونية. لسياسة حكومات بلدانهم ولسياسة إسرائيل. وثمة أساس "نظري" يوضع لمثل هذه الفكرة الرجعية.

فيزعم الصهاينة أن "الولاء المزدوج أو المتعدد" إنما هي مرحلة تحل ــ بصفة عامة ــ محل "الفكرة القومية في صورتها الراهنة". وهم على ذلك يزعمون بأن "الشعب اليهودي" قد سبق سائر الشعوب في المرور بهذه المرحلة. وينطلق قادة الصهيونية المعاصرة من أنه يمكن ــ حسب زعمهم ــ "الإبقاء على الولاء للبلد الذي يعيش فيه اليهودي إلى جانب الاحتفاظ بعلاقة روحية مع إسرائيل". وهم في الوقت نفسه يرون أنه إذا ما حدث تعارض

بين السياستين، فلابد من إعطاء الأولوية لمصالح إسرائيل والصهيونية العالمية.

وكما لاحظ إرليخ، وهو شخصية بارزة في الحزب الشيوعي الإسرائيلي، فإن مساندة زعماء الطوائف اليهودية في البلدان البرجوازية للسياسة العدوانية التي ينتهجها حكام إسرائيل تثير لدى الكثيرين من مواطني البلدان الرأسمالية الريبة في هؤلاء الزعماء اليهود الذين يعترفون بأنهم يتميزون "بازدواج الشخصية".

ويرى بعض منظري الصهيونية مثل جولدمان أن مشكلة العلاقة المتبادلة بين جناحي "اليهودية العالمية" هي المشكلة المحورية التي يتوقف على حلها "وجود إسرائيل قوية وشتات قوي".

ويشير الشيوعيون الإسرائيليون في قرار المؤتمر السابع عشر للحزب الشيوعي الإسرائيلي إلى أن الحركة الصهيونية تحاول إظهار نفسها بمظهر الحركة القومية الواحدة التي تحظى بتأييد "اليهودية العالمية" أي "الأمة اليهودية العالمية". أما في الواقع فتوجد حركة صهيونية عالمية فقط، بينما لا وجود لأمة يهودية عالمية.

تسعى الصهيونية بأساليب مصطنعة إلى عرقلة العملية الموضوعية لاندماج اليهود، فهي تريد اقتطاع "يهود الشتات" من أبناء بلدانهم وجعلهم في وضع خاص متميز. وتتسم أهداف

الصهيونية بالنسبة ليهود "الشتات" بالازدواجية والتناقض من حيث الجوهر. الهدف الأول هو محاولة الصهيونية لتشجيع الهجرة إلى إسرائيل بكل الوسائل. ولتحقيق هذا الهدف تلجأ الصهيونية إلى حملات التشهير، وشراء الذمم، ونشر الإشاعات، والاستفزازات الرامية إلى خلق ظروف غير مواتية لحياة اليهود في "الشتات".

ومن هذه الزاوية تحرص الصهيونية، موضوعياً، على تغذية الميول المعادية للسامية. كما تستخدم أساليب العنف في نشر الصهيونية بين يهود "الشتات". وتنكر الصهيونية إمكانية الحياة الطبيعية لليهود خارج حدود الدولة اليهودية. كذلك فهي تعمل على تخريب نشاط المنظمات اليهودية المناهضة للصهيونية، وشق وحدة هذه المنظمات. وحيثما تقع قيادة هذه المنظمات في أيدي الصهاينة فإنها تنصرف عن قضايا الحركة الديمقراطية في بلدانها.

ولقد أصبح من الشائع أن يخاطب قادة إسرائيل والمنظمات الصهيونية العالمية المواطنين اليهود في بلدان أخرى عن غير طريق حكوماتها المشروعة، بل والتكلم "باسم" يهود هذا البلد أو ذاك دون أي تفويض بذلك. ويشهد على ذلك تصدي القادة الصهاينة "للدفاع" عن يهود البلدان العربية وبلدان الأسرة الاشتراكية، مع

أن ممثلي اليهود في هذه البلدان قد أعلنوا مراراً عن استنكارهم للافتراءات الصهيونية، بما في ذلك الزعم الكاذب بأن اليهود في الاتحاد السوفييتي هم أكثر الأجناس تعرضاً للاضطهاد.

إن الصهيونية في حاجة موضوعية إلى إثارة ضجة حول ما يسمى "بالمشكلة اليهودية"، وحول "الخطر" على وجود "اليهود كأمة". وبذلك تحاول الصهيونية تبرير تدخلها في الشؤون الداخلية لمختلف البلدان في العالم. وتخلط الصهيونية قصداً وعمداً بين معاداة الصهيونية ومعاداة السامية. فمن الأساليب الدعائية الصهيونية الشائعة لصق تهمة العداء للسامية بمختلف الحركات التقدمية المناهضة للصهيونية. وفي الوقت ذاته تغمض الصهيونية العالمية عينيها عن الميول المعادية للسامية، تلك الميول المنتشرة بين الدوائر ذات النفوذ داخل الطبقات السائدة في بلدان الغرب.

والهدف الثاني للصهيونية ـ بالإضافة إلى تشجيع الهجرة إلى إسرائيل ـ هو الحصول على التأييد المادي والسياسي لإسرائيل وسياستها العدوانية، من جانب حكومات البلدان الغربية المتقدمة.

ومن أجل ذلك تحرص الصهيونية على تعزيز ودعم "قواعدها" في مختلف البلدان، أي تقوية المنظمات الصهيونية وزيادة تأثيرها على الحكومات.

وبكل الوسائل تحاول المنظمات الصهيونية في "الشتات" أن تعرقل زيادة الهوة التي تفصل بين الإسرائيليين وبين يهود "الشتات" وأن تحافظ على الاهتمام بإسرائيل، وأن تخلق أسطورة حولها باعتبارها "الدولة النموذجية". وسعياً وراء ربط يهود "الشتات" بإسرائيل يوهم الصهاينة يهود البلدان المختلفة بأنهم ينتمون إلى "الأمة اليهودية العالمية". ليس من الصعب اكتشاف التناقض الواضح في الشعارات الأيديولوجية والسياسية الصهيونية إزاء يهود "الشتات". فمن ناحية: نداء بهجرة جميع اليهود إلى إسرائيل، ومن الناحية الأخرى: تعزيز المنظمات الصهيونية في مختلف بلدان العالم ليس بغرض الدعاية للهجرة لإسرائيل بقدر ما هو بغرض التأثير الدائم والمتزايد على حكومات بلدانها ونشر الصهيونية بين يهود "الشتات" دون انتقالهم إلى إسرائيل.

وتتوالى واحدة بعد أخرى حملات دعائية رامية إلى نشر الصهيونية بين يهود "الشتات". وهي كالعادة تقترن بجمع التبرعات والشعارات الدعائية التي تنادي بالاستثمارات في إسرائيل. ولا زال كبار الاحتكاريين اليهود يقدمون، كدأبهم، الجانب الأعظم من الأرصدة المالية. إلا أن الصهاينة يزعمون بديماجوجية أن انتشار حملاتهم بين مختلف فئات اليهود إنما يعبر عن "ديمقراطية" الحركة الصهيونية. وليس ذلك في حقيقته غير تضليل وخداع.

كما يعمد الدعاة الصهاينة إلى شتى الطرق لإثارة الاهتمام "بالقيم والتقاليد اليهودية"، والمبالغة في مسألة الخصائص الثقافية والدينية لليهود وفي معايير الانتماء "لليهودية".

إن مسألة: من هو "اليهودي" وما هي "اليهودية" تعتبر ــ باعتراف الصهاينة أنفسهم ــ أكثر المسائل غموضاً. ومعظم الناس بما في ذلك اليهود لا يستطيعون تحديد مفهوم "اليهودية".

والقانون الإسرائيلي الصادر في بداية 1970 يحدد الانتماء إلى القومية اليهودية على أساس السمات العنصرية والدينية. وطبقاً للقانون اليهودي لا يعتبر يهودياً إلا من ولد لأم يهودية أو اعتنق الديانة اليهودية وفقاً للمبادئ الدينية الصارمة. وهذان الشرطان ينزعان صفة اليهودية عن كافة أنصار اتجاهات الديانة اليهودية الأخرى (الاصلاحيين والمحافظين) وعن عشرات الآلاف من الأشخاص الذين ولدوا نتيجة للزواج المختلط.

إن بعض المنظرين الصهاينة، إدراكاً بأن هذا التحديد يثير انتقاداً عنيفاً من جانب يهود العالم بأسره ويضيق القاعدة الاجتماعية للصهيونية، يطرح معياراً أيديولوجياً أكثر اتساعاً لتحديد الشخصية اليهودية، ففي رأيهم أن الممثل لروح وتقاليد وثقافة "اليهودية" هو كل "من يحس بأنه يهودي وينظر إليه من جانب الآخرين باعتباره يهودياً".

كل ذلك إنما يدل على أزمة الحركة والأيديولوجية الصهيونية. ويتكلم كثيرون من القادة الصهاينة عن ضرورة التنقيح الشامل لمجموعة الأساليب الأيديولوجية. ومما له دلالته في هذا الصدد أن عدداً من المنظرين الصهاينة يرى وجود مرحلتين للثورة الصهيونية يمر بهما "المجتمع اليهودي العالمي". وإذا كانت المرحلة الأولى صهيونية خالصة يجري خلالها حل قضايا اليهود الخاصة (الدولة، خلق الظروف للتطور القومي، الخ). فإن المرحلة الثانية هي "مرحلة التجديد أو ما بعد التجديد". وفي هذه المرحلة يتأتى على اليهود، الذين يتمتعون ـ حسب زعمهم ـ "بهمة وفطانة وقدرات وقابليات أعظم" من القوميات الأخرى، أن يسهموا بقسطهم في تطوير المجتمع العالمي للشعوب، وهذا القسط يتمثل في أنهم يضربون بأنفسهم المثل على "ضرورة وكيفية التفاعل الإنساني من أجل خلق مجتمع مكتمل حقاً". وفي النهاية يتوصل بعض المنظرين الصهاينة إلى استنتاج بأن الطائفة اليهودية العالمية تمر بعملية ثورية مستمرة على الدوام، تخوض "معركة لا تنتهي" تطرح على اليهود قضايا جديدة في كل مرحلة من مراحلها.

إن الإفلاس الذي حاق بعدد من الخرافات الأيديولوجية التي يخلقها قادة إسرائيل والصهيونية العالمية ليدل دلالة قاطعة على

أن هـؤلاء القـادة عـاجزون عـن التقيـيم السـليم للوضـع الـدولي ولاتجاهـات التطـور الاجتمـاعي المعاصـر. ولا جـدال في أن حـرب أكتـوبر 1973 قـد دحضـت الـزعم بـالتفوق العسـكري الأبـدي لإسرائيل على البلدان العربيـة، وبـأن العـرب غير قـادرين حتـى في المسـتقبل البعيـد علـى إبـداء مقاومـة فعالـة، وبعجـز العـرب عـن اسـتعادة أراضـيهم المحتلـة، وباسـتحالة التضـامن العربـي. لقـد وجـدت إسـرائيل نفسـها في وضـع حـرج إذ وقعـت ضـحية أوهامهـا الدعائيـة وإذ اسـتخفت بتقـدير قـوى الـدول العربيـة. كمـا اتضـح تهرؤ نظرية ما يسمى "بالتجميد السياسي والإقليمي للنزاع"، تلك النظرية التي استندت إلى سياسة "الأمر الواقع" وشعار: "لا خطوة إلى الـوراء". ولقـد وصـل الغـرور بأحـد زعمـاء كتلـة "ليكـود" اليمينية المتطرفة إلى حد التصريح بجدية تامة بأن "إسـرائيل دولـة عظمـى في الشـرق الأوسـط. وفي وسـعنا خـلال أسـبوع أن نحتـل منطقة كاملة من الخرطوم إلى بغداد والجزائر".

لقـد عصـفت حـرب أكتـوبر بمثـل هـذه التصـورات وبـدد كالسـراب تقـدير المتطـرفين الإسـرائيليين بـأن الـزمن يعمـل في صـالحهم. وفيمـا يلـي تصـوير صـحيفة "تـايمز" البريطانيـة للمـزاج السـائد في إسـرائيل: "تبـدد الاعتقـاد بـأن التفـوق العسـكري الإسرائيلي سـوف يـدوم للأبـد". ".. لم تعـد الـبلاد تـؤمن بـأن القـوة

العسكرية لإسرائيل قادرة على حل مشاكلها". وحتى في الدوائر الدولية المؤيدة لإسرائيل تعززت وجهة النظر القائلة بأن إسرائيل يجب ألا تفوت فرصة التسوية السلمية للأزمة طالما أن وضعها العسكري والسياسي يمكن أن يزداد حرجاً مع مضي الوقت.

لا يجوز إغفال العزلة المعنوية ــ السياسية التي ازدادت من حول إسرائيل بسبب العدوان. وتكفى الإشارة إلى أن ما يزيد عن 20 دولة إفريقية قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية بإسرائيل أثناء وبعد الصدام المسلح الذي وقع في أكتوبر. كذلك فإن مؤتمر الدول الإسلامية الذي عقد في فبراير 1974 في مدينة لاهور الباكستانية قد وقف بحزم ضد إسرائيل، وطالب بالجلاء عن جميع الأراضي العربية المحتلة، وبالحفاظ على عروبة القدس. كذلك فإن معظم حكومات دول أوروبا الغربية واليابان قد رفضت التوسع الإسرائيلي، وسعت إلى تحسين وتوسيع العلاقات مع الدول العربية، ووعدتها بتقديم القروض والمساهمة في المشروعات الاقتصادية.

وفي نوفمبر 1973 أصدر وزراء خارجية الدول التسع المشتركة في السوق الأوروبية بياناً يعرب عن ضرورة تنفيذ قرار مجلس الأمن الصادر في 22 نوفمبر 1967.

إن أزمة الطاقة ـــ التي ازدادت بسبب تخفيض الإنتاج البترولي في البلدان العربية في منطقة الخليج العربي ـ لعب دوراً هاماً في تحديد الخط السياسي للدول الرأسمالية بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية إزاء مشكلة الشرق الأوسط.

من المعروف أن الحكومة السوفييتية قد اتخذت إجراءات فعالة لإيقاف إراقة الدماء في الشرق الأوسط. وعندما توقف دوي المدافع أخذت الحكومة السوفييتية تطالب بحزم بإقرار السلام العادل حقاً.

ومن الواضح أنه لو تخلت الدوائر العدوانية في الولايات المتحدة عن تأييد الصهيونية العالمية لكانت قد تمت منذ زمن بعيد التسوية السلمية العادلة في الشرق الأوسط.

إن إسرائيل تعتبر بالنسبة للاحتكارات الأمريكية أداة للحفاظ على مواقعها العسكرية ـــ الاقتصادية في الشرق الأوسط. والواقع أن الدعم الاقتصادي والسياسي والعسكري الذي تقدمه الدوائر الاحتكارية الأمريكية إلى القيادة الصهيونية الإسرائيلية يعتبر ثمناً يدفع لإسرائيل لقاء الدور الذي تلعبه كأنسب أداة في الصراع ضد حركة التحرر الوطني في هذه المنقطة.

إن إسرائيل تعتبر نفسها القاعدة الأمامية للغرب في الشرق، كما تعتبر نفسها في الوقت ذاته قدوة للبلدان النامية. إذ يزعم الصهاينة أن وجود اليهود والعرب في إسرائيل يعتبر مثالاً "للبلدان المتعددة الأجناس" (الهند، قبرص، إيرلندا الشمالية). وتتطلع إسرائيل إلى دور الجسر الذي يربط بين البلدان المتقدمة والنامية بحكم أنها ـ كما تزعم ـ أقدر من سواها على إدراك مشاكل ومصاعب البلدان النامية، وأن نموذج "البناء العصري الإسرائيلي" يمكن أن تحتذي به البلدان النامية. والواقع أن إسرائيل تؤيد الأنظمة الاستعمارية والرجعية بشكل سافر.

ومن أوضح المظاهر الدالة على الجوهر الاستعماري الجديد المماثل للإمبريالية في سياسة دولة إسرائيل وأيديولوجيتها، من أوضح هذه المظاهر محاولات إسرائيل الدائبة عدم السماح بالتطور المستقل للشعوب العربية، وتشويه سمعة قادة الدول العربية التقدمية، والتشهير بفكرة التطور الرأسمالي للبلدان العربية.

ويتميز الموقف الصهيوني من مسألة القوميات والمستعمرات بالتهويل في تصوير إسرائيل "كمناضلة" في سبيل حقوق الأمم الصغيرة والمبادئ الإنسانية في العلاقات الدولية، "كعدوة" لأي استغلال.

ولكي نحكم على مدى صحة هذه الادعاءات، يمكن النظر إلى موقف إسرائيل من الدول العربية وإلى اعتراض إسرائيل على استقلال الجزائر وغيرها من البلدان. وحتى في عام 1902 أي في مرحلة نشوء المنظمات الصهيونية فإنها قامت بتأسيس "الوكالة اليهودية الاستعمارية" معلنة بذلك عن موقفها من قضية المستعمرات.

وعلى الفور صارت الوكالة رأس جسر حيوياً لسياسة الرأسمال الاحتكاري الدولي. ويقدم قادة الصهيونية العالمية خدماتهم للقوى الرجعية في قمع حركة التحرر الوطني. وقد عبر جيوتين القنصل العام الإسرائيلي بالنيابة في الولايات المتحدة، عبر في حينه عن موقف الصهيونية من تحرير المستعمرات على النحو التالي: "ليست كل إدارة ذاتية ذات طابع تقدمي، وليس كل استقلال أفضل من الإدارة الاستعمارية التي تمارسها إمبراطورية تقدمية".

والموقف الحقيقي للصهاينة إزاء قضية الاضطهاد القومي والعنصري إنما يتضح من خلال امتناع الصهيونية العالمية والمنظمات الصهيونية في جمهورية جنوب أفريقيا عن توجيه النقد إلى سياسة حكومة جمهورية جنوب أفريقيا. وهذا بالرغم من أن الميول المعادية للسامية داخل جمهورية جنوب أفريقيا شديدة للغاية.

يحاول الدعاة الصهاينة خلق صورة للتحسن الدائم في العلاقات بين العرب واليهود في الأراضي الواقعة تحت الاحتلال الإسرائيلي.

أما في الواقع فيدور الحديث عن الابتلاع الاقتصادي والسياسي للأراضي المحتلة. فهذه المناطق قد صارت سوقاً للسلع الإسرائيلية ومصدراً للأيدي العاملة الرخيصة، الأمر الذي يساعد بقدر محسوس على رفع المستوى المعيشي لإسرائيل وابتزاز الموارد المادية من الأراضي المحتلة ونقلها إلى إسرائيل.

ويدل ذلك كله على تحويل المناطق المحتلة إلى شبه مستعمرة لإسرائيل تمدها بالخامات والمنتوجات الزراعية.

واضطهاد العرب القيمين في إسرائيل لا يتمثل فقط في المجال الاقتصادي بل يتمثل في المجال الاجتماعي أيضاً. ذلك أن النفقات المخصصة للاحتياجات الاجتماعية تبنى على تلبية احتياجات اليهود وعلى تلبية الحد الأدنى فقط من احتياجات العرب.

ومن الناحية الموضوعية، فإن اضطهاد العرب اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً يؤدي إلى خلق ظروف ترغم الكثيرين منهم على ترك ديارهم إلى خارج البلاد. وبهذه الطريقة يتحقق أحد

الأهداف الصهيونية ألا وهو "تطهير" إسرائيل من أبناء العنصر غير اليهودي بالإضافة إلى "تهويد" الأراضي المحتلة.

ولا يُخفي المفكرون الصهاينة أن وضع العرب الجائر اقتصادياً، واجتماعياً، وسياسياً، داخل إسرائيل والأراضي المحتلة هو وضع طبيعي ينبثق من جوهر الدولة الإسرائيلية التي قامت ــ على حد تعبير بن جوريون ــ "من أجل الأمة اليهودية العالمية".

ما أحفل الواقع السياسي الإسرائيلي بالحقائق الدامغة على الاضطهاد الصارخ للعرب من مواطني إسرائيل وسكان المناطق المحتلة على السواء. وفي مايو (أيار) 1974 سجلت لجنة خاصة مكلفة من الأمم المتحدة بالتحقيق في انتهاك إسرائيل لحقوق الإنسان في المناطق العربية المحتلة، سجلت عدداً من الحقائق التي تؤكد اعتداء إسرائيل المتواصل على الحقوق الأولية للإنسان.

وعلى سبيل المثال فقد سجلت اللجنة أنه خلال ما يسمى بـ "تهويد القدس" جرى طرد أكثر من 1500 عربي، وتعتزم الدوائر الحاكمة الإسرائيلية أن ترتفع في الأعوام القليلة القادمة بتعداد سكان القدس من اليهود إلى 51 ألف نسمة، وفي الأعوام الأخيرة تقدم عدد من الدول العربية بتظلمات عديدة للمنظمات الدولية، بما فيها الصليب الأحمر الدولي، معلناً فيها عن الانتهاكات

الإسرائيلية الصارخة لحقوق الإنسان وأعمال الإرهاب والاضطهاد المنتشرة في الأراضي المحتلة. والعالم كله يعرف الموقف الهمجي للصهاينة من اللاجئين الفلسطينيين، الذين تتعرض مخيماتهم للاعتداء الوحشي رغم وجودها في أراضي الدول العربية المجاورة. إن المليون ونصف المليون من اللاجئين الفلسطينيين ينتظرون تلبية حقوقهم القومية المشروعة في استعادة أراضيهم. إن السياسة المعادية للشعب، التي تنتهجها الدوائر الإسرائيلية الحاكمة قد أسفرت أيضاً عن التردي الهائل للأوضاع الاقتصادية ـــ الاجتماعية للبلاد، وعن احتدام الأزمات الاجتماعية. فإسرائيل يستشري فيها التضخم والغلاء الفاحش في الأسعار.

ويدفع السكان الإسرائيليون تكاليف السياسة العدوانية لحكومتهم من خلال ازدياد الضرائب، والقروض "الاختيارية" والإجبارية التي تبلغ 7٪ من الأجور، ومن خلال انخفاض مستوى المعيشة بنسبة 6٪ عام 1974. ويبلغ العجز في الميزان التجاري لإسرائيل 5،2 مليار دولار. وهو أعلى عجز في العالم بالنسبة لكل فرد من السكان. ويزداد الوضع الاقتصادي سوءاً تحت وطأة التناقضات الاجتماعية الطبقية المحتدمة.

وتشهد إسرائيل مزيداً من التدهور في وضع اليهود القادمين من البلدان الأفرو ـ آسيوية. فدخل هؤلاء لا يصل إلا إلى نصف

دخل الفئات الممتازة. كذلك فإن 80٪ من اليهود "الشرقيين" لا يجدون تقريباً فرصة التعليم أو العمل المؤهل. وفي رأي جريدة "نيويورك تايمز" الأمريكية أن إحدى نتاج حرب أكتوبر تتمثل في أنه "سوف يتأتى على الإسرائيلي أن يعمل أكثر وأن يسلم بانخفاض الدخل الحقيقي".

ومع أن الاعتقاد بعجز القوة العسكرية عن حل القضايا السياسية الخارجية قد بدأ يتسع، ومع أن الإيمان بالتفوق العسكري على العرب قد بدأ ينحسر، فإن القيادة الصهيونية للبلاد تبحث عن حلول للمشاكل الخارجية والداخلية في عسكرة الاقتصاد معلقة آمالها على المساندة من جانب الصهيونية العالمية والإمبريالية.

وبواسطة أجهزة الإعلام والتوجيه الأيديولوجي يسعى قادة إسرائيل الصهاينة إلى خلق مناخ نفسي يجعل إجراءات الحكومة، إياً كان نوعها، تستقبل بدون نقد، ويضمن ولاء السكان للحكومة العاجزة عن حل المشاكل التي تواجهها البلاد، وعن الوفاء بالوعود التي أعطتها. وفي ظل الاحتفاظ المفتعل بالهستيريا العسكرية، يخلق عمداً المناخ لمواصلة تعزيز مواقع ممثلي المجموعة العسكرية ــ الصناعية الذين يتبوأون جميع المناصب الهامة في إدارة البلاد. ولا يُخفي الأيديولوجيون

الصهاينة نفوذ العسكريين على الاقتصاد والعلم وكافة مجالات الحياة الاجتماعية. إلا أن هذا النفوذ لا يصوره هؤلاء الأيديولوجيون باعتباره فرصة فعلية تتاح أمام المجموعة العسكرية ـ الصناعية لحل كل القضايا الداخلية والخارجية ذات الأهمية القصوى للبلاد، بل يصور هذا النفوذ على أنه اشتراك من قادة "الجيش ذي الطبيعة الشعبية" في حل القضايا التي تواجهها البلاد في إطار القوانين السارية المفعول.

لقد صار الجيش "معمل تفريخ" لنخبة القطاع المدني. وأصبح كبار القادة العسكريين المحالين إلى التقاعد يجدون أوسع الفرص للنشاط الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في هذا القطاع. ويقدم الصهاينة هذه الحقيقة باعتبارها دليلاً على الدور الاجتماعي "الفريد" الذي يلعبه الجيش في المجتمع الإسرائيلي. والحقيقة أن الدور الكبير الذي يلعبه الجيش في إسرائيل إنما يعكس خصائص العسكرية البرجوازية في ظروف السيطرة الصهيونية.

إن التناقضات الطبقية واللامساواة الاجتماعية بين مختلف فئات السكان، والتي تؤدي إلى الأزمات الاجتماعية والتوتر الاجتماعي، إنما تزداد حدتها بسبب ظاهرة ينفرد بها المجتمع الإسرائيلي فقط وهي التناقض الحاد بين الرجعية الدينية

المتطرفة التي ترقى إلى منزلة السياسة العامة للدولة وبين الأغلبية السكانية غير المؤمنة (طبقاً للمصادر الأجنبية، تزيد نسبة غير المؤمنين عن 70٪ من مجموع السكان).

ويتخذ هذا التناقض مظهراً بالغ الحدة إلى درجة أن بعض القادة الصهاينة يرى في ذلك تهديداً "للوحدة الوطنية" وقد يؤدي إلى انقسام "الشعب اليهودي".

وثمة اهتمام خاص بالاستمالة الأيديولوجية للشباب. فالولاء لإسرائيل يعتبر القضية المركزية في تربية الجيل الصاعد.

ومن أهم عناصر الاستمالة الأيديولوجية، ذلك التأثير الهادف على الوعي الفردي. فنظام الاستمالة الأيديولوجية في مجمله يستهدف وضع رقابة تامة على سلوك وطريقة تفكير كل فرد من أفراد المجتمع بقدر الإمكان. وتحتل أساليب الرقابة الأيديولوجية مكانة لا تقل أهمية بين أساليب سيطرة القادة الصهاينة عن مكانة العنف البدني السافر. إلا أن الطابع الرجعي للأيديولوجية والسياسة الصهيونية يسبب حتماً تناقضاً بينه وبين الرأي العام الذي يتطور داخل إسرائيل. فالدعاية الصهيونية قد بدأت تمنى بالهزائم على أثر إخفاق السياسة العدوانية الإسرائيلية ولاسيما بعد حرب أكتوبر 1973. ولقد بدأت تتحطم أسوار العزلة المضروبة حول الحزب الشيوعي الإسرائيلي والقوى الأخرى

التقدمية المناهضة للصهيونية. كما أخذت تنمو بين السكان مواقف الانتقاد للقيادة الصهيونية للبلاد. وأن التطور المستمر، وإن كان صعباً، للرأي العام الانتقادي المستقل في إسرائيل، وازدياد دوره وتأثيره، ليعتبر عاملاً هاماً في استمرار إضعاف السياسة والأيديولوجية الصهيونية.

إن حرب 1973 قد دفعت قطاعات واسعة من الإسرائيليين إلى إعادة النظر في تصوراتها عن المجتمع الإسرائيلي، وعلاقة إسرائيل بجيرانها، وموقعها في العالم. كذلك فإن التردي الشديد في الوضع الاجتماعي ــ الاقتصادي، والعزلة المتزايدة على الصعيد الدولي، قد أديا إلى استمرار الهبوط في حجم الهجرة من البلدان الغربية إلى إسرائيل. ففي عام 1972 انخفض إلى ما يقرب من النصف عدد المهاجرين من الولايات المتحدة بالنسبة إلى عددهم عام 1971. كذلك فقد أخذت تتزايد الهجرة من إسرائيل. ولا يتعلق هذا بالمهاجرين الجدد إلى إسرائيل بل يشمل أيضاً المهاجرين "القدامى". وطبقاً لمعطيات مجلة "شبيجل" الألمانية الغربية يعيش في الولايات المتحدة 200 ألف من الإسرائيليين السابقين.

وطبقاً لمعطيات صحيفة "جيروساليم بوست" بتاريخ 4 إبريل (نيسان) 1974، كان عدد المهاجرين إلى إسرائيل في الفترة من

يناير (كانون الثاني) إلى مارس (آذار) 1974 أقل بنسبة 20٪ عن عددهم خلال الفترة المماثلة من العام السابق.

ويستمر معدل الهجرة من إسرائيل في الارتفاع. وطبقاً للتقديرات الرسمية الإسرائيلية فإن 10٪ من السكان في إسرائيل يشكلون فئة المهاجرين المحتملين. ولا يخفي قادة الصهيونية قلقهم من أن الهجرة من إسرائيل قد تأخذ طابع الفرار الجماعي وتزيد عن حجم الهجرة إلى إسرائيل.

إن فئات واسعة من الناس ـ اليهود وغير اليهود ـ في الغرب وفي كافة أنحاء العالم قد أخذت تتعرف على إسرائيل، بشكل أوسع فأوسع، كمجتمع مغلق لا مكان فيه للغرباء.

إن أعداداً متزايدة من الناس قد كفت عن الإيمان بأن السياسة العدوانية للقيادات الصهيونية في إسرائيل تمت بصلة إلى المصالح الحقيقية للجماهير الكادحة في المجتمع الإسرائيلي، وخاصة بمصالح اليهود خارج إسرائيل. وكما يشير المؤرخ البرجوازي توينبي "أن الناس يصلون إلى الوعي بحقيقة أن إسرائيل ليست الدولة الصغيرة المهانة المفتقرة إلى الحماية. وهم يبدأون في إدراك أن إسرائيل دولة عنيدة، متكبرة، ذات تطلعات صارخة، وتمثل خطورة على السلام".

إن أزمة الأيديولوجية والتطبيقات الصهيونية لتتمثل في نمو الاستقطاب السياسي والأيديولوجي داخل إسرائيل وفي أوساط يهود البلدان الأخرى.

وتنتشر معارضة الصهيونية بين مختلف فئات السكان وتمثل بالتالي قوى طبقية ــ سياسية متباينة. وإلى جانب تقوية صفوف الحزب الشيوعي الإسرائيلي، الذي يناضل ضد الصهيونية بدأب وثبات، يتعزز الاتجاه إلى نمو المعارضة البرجوازية المناهضة للصهيونية والتي ترى في الصهيونية بنظريتها وتطبيقاتها خطراً على وجود دولة إسرائيل وتطورها الطبيعي. وتتخذ المعارضة أشكالاً برلمانية وغير برلمانية. ومن بين القوى التي تشن هجوماً حاداً على السياسة الداخلية والخارجية للحكومة الإسرائيلية: منظمة "هاعولام هازية" البرجوازية المناهضة للصهيونية برئاسة أورى أفنيري، ومجموعة ماتسبيين (المنظمة الاشتراكية الإسرائيلية)، التي انفصلت عن الاصلاحية الاشتراكية الحاكمة، ومجموعة "سياح" "الجناح اليساري الجديد". وبالتدريج يصبح الصراع بين الصهيونية وبين العداء للصهيونية أهم ملامح الوضع الأيديولوجي في إسرائيل وبين اليهود في البلدان البرجوازية الأخرى.

هذا، وتتزايد الخلافات داخل الحركة الصهيونية أيضاً. فقد صرح ترنيتس، وهو أحد زعماء الطائفة اليهودية في الولايات المتحدة، بأن: "إسرائيل لم تحل المشاكل اليهودية في "الشتات" لا السياسة ولا الاجتماعية ولا الثقافية. ومما له دلالته أن تزداد تحركات الشباب ضد الصهيونية. ففي بداية 1974 تأسست في الولايات المتحدة منظمة شباب تسمى "بريريرا" يحظى برنامجها بتأييد عدد من زعماء الطائفة اليهودية في الولايات المتحدة. ينص البرنامج، على سبيل المثال، على المطالبة بالاعتراف بحقوق العرب الفلسطينيين، وبتصفية اللامساواة الاجتماعية في إسرائيل، وبالتسامح الديني، واستعادة الحقوق والحريات المهدرة بما في ذلك حقوق وحريات المواطنين العرب.

إن نمو مختلف التيارات الأيديولوجية اللاصهيونية والمعادية للصهيونية إنما يدل على عملية لا رجعة فيها، عملية تفسخ الأيديولوجية الصهيونية.

كما تتمثل أزمة الأيديولوجية والتطبيقات الصهيونية في أنه داخل الحركة الصهيونية تتوطد أكثر فأكثر مواقع التيارات اليمينية المحافظة وشبه الفاشية والفاشية، التي تمارس نفوذاً متزايداً على وضع السياسة الرسمية للدولة. ذلك أن السياسة الخارجية العدوانية لدولة إسرائيل تساعد على التحول اليميني في

ميزان القوى السياسية للتحالف الحاكم وللمعسكر الصهيوني في مجموعه. وقد أظهرت نتائج انتخابات الكنيست، التي جرت في ديسمبر (كانون الأول) 1973، أن حكومة إسرائيل تقع تحت ضغط متزايد من القوى العدوانية المؤيدة للنهج "المتشدد".

إن حكومة إسرائيل، التي يرأسها اسحاق رابين، تواصل النهج السابق المفلس المستند إلى الدعم الإمبريالي العالمي. وليس أدل على ذلك من أن مخصصات "الدفاع" تشكل 14،4 مليار ليرة إسرائيلية من أصل 34 مليار ليرة هي جملة الميزانية العامة لسنة 1974 ــ 1975. والمصدر الرئيسي لموارد الميزانية يتثمل في المساعدات التي تمنحها الولايات المتحدة لإسرائيل، والتبرعات النقدية التي تجمعها المنظمات الصهيونية من كافة أنحاء العالم. ومن المتوقع أن تحصل إسرائيل من الولايات المتحدة على قروض في حدود 350 مليون دولار علاوة على المعونة الاستثنائية التي تزيد قيمتها عن ملياري دولار، والتي قدمتها الولايات المتحدة في خريف 1973. هذا وتسعى الدوائر الحاكمة الإسرائيلية وعملاء الصهيونية في الولايات المتحدة إلى الحصول على معونة سنوية إضافية من الحكومة الأمريكية قدرها 1،5 مليار دولار لتغطية الاحتياجات الحربية. وحملات التبرع، التي تقوم بها المنظمات الصهيونية العالمية، لا تزال مصدراً هاماً لتمويل سياسة إسرائيل العدوانية.

إن الصهيونية تتعنت في انتهاج سياستها التي تهدد قضية السلام.

والشرط الأول للانتصار النهائي على الصهيونية والعدوان الإسرائيلي هو الاستمرار في تعزيز وحدة جميع القوى المعادية للإمبريالية والمحبة للسلام.

بقلم بودكويتشنكو

وديف

خرافات الصهيونية السبع

بقلم شاهنوفيتش

من بين "المحاربين" ضد الشيوعية تبرز، اليوم، بشكل خاص منظمات الصهيونية العالمية بنشاطها المسعور وارتباطها الوثيق بالدوائر الحاكمة في إسرائيل. ويتجه "منظرو" الصهيونية إلى الماضي السحيق منقبين فيه عن منابع أيديولوجيتهم. وهم يكادون في رجعتهم إلى الوراء أن يصلوا إلى القرن السادس قبل الميلاد... إلى زمان الأسر البابلي لليهود القدماء فتراودهم أحلام العودة إلى فلسطين. ويقول هؤلاء "المنظرون": إن جوهر الصهيونية يكمن في "تجميع" اليهود المشتتين في مختلف البلدان في دولة واحدة.. هناك، حيث كانت لليهود دولة قديمة عاصمتها أورشليم عند جبل صهيون المقدس.

فما هي حقيقة الصهيونية؟

قبل كل شيء، يجدر القول مباشرة بأن الصهيونية من نتاج الإمبريالية، وأن الإمبريالية تستغلها كأداة في الصراع ضد البلدان الاشتراكية والحركة الشيوعية وحركة التحرر الوطني للشعوب العربية. وما الصهيونية غير أيديولوجية قومية رجعية، معادية للشعب، ومعبرة عن المصالح الشوفينية للبرجوازية اليهودية الكبيرة المرتبطة بالدوائر الحاكمة في الدول الإمبريالية.

فمنذ عام 1895 اقترح تيودور هرتزل، وهو مؤسس الصهيونية وابن تاجر ثرى، إقامة "ملكية دستورية" أو "جمهورية أرستقراطية" في فلسطين حيث تستطيع البرجوازية اليهودية أن تنهب أبناء ديانتها بدون أي رادع. ويقول هرتزل في كتابه "الدولة اليهودية": "إن اليهود الأثرياء الذين يضطرون الآن إلى إخفاء كنوزهم وإقامة الولائم وراء الستائر المسدلة سوف يتمكنون في دولتهم من الاستمتاع الحر بالحياة". ولقد لقيت مخططات "أبي الصهيونية" هوى في نفوس البرجوازية اليهودية. فقد كان يصيب ذعرها اشتراك الكادحين اليهود في الحركة الثورية.

وقد علقت آمالها على أن يستجيب الكادحون اليهود لنداء إقامة "الدولة اليهودية" وعلى أن تجتذبهم فكرة هرتزل فتصرفهم عن الصراع الطبقي وعن الاشتراك في الحركة الثورية إلى جانب ممثلي القوميات الأخرى.

ولقد ربط زعماء الصهيونية تحقيق مآربهم بعقد صفقة تجارية مع السلطان التركي عبد الحميد الثاني والقيصر غليوم الثاني والبابا بيوس العاشر وملكي بريطانيا وإيطاليا. وقد سعى هرتزل لدى تركيا مالكة فلسطين للحصول على تصريح باستيطان اليهود فيها. وفي مقابل ذلك عرض على السلطان تقديم خدمات الصهاينة في قمع نضال عرب فلسطين في سبيل الحرية.

ولم يحدث قط أن أخفى قادة الصهيونية علاقاتهم بالدوائر البرجوازية الحاكمة، بل كانوا ــ على العكس من ذلك يتفاخرون بها في كل مناسبة. ففي عام 1912 كتب غوردون بصراحة بارزة في كتيب له بعنوان "الصهيونية والمسيحية": "إن حكومات دول متعددة تتخذ من حركتنا موقفاً ودياً بل وموالياً". وفي روسيا لم يشعر زعماء الصهيونية بأية غضاضة في التعاون مع الحكومة القيصرية. وفي أغسطس (آب) 1903 توجه هرتزل إلى بليفيه، وزير الداخلية ومنظم "مذبحة اليهود" في مدينة كيشينيوف، برجاء السماح بعلنية حزب صهيوني في روسيا. ولقد كانت حجته الرئيسية في المطالبة بالعلنية أن الصهاينة سوف يصرفون الشباب اليهودي عن الاشتراك في الحركة الثورية. وبالفعل، صرح بليفيه بعلنية الحزب الصهيوني في روسيا.

وينوه هرتزل في مذكراته بقول بليفيه: "إننا نتعاطف مع حركتكم الصهيونية".

وفي الفترة نفسها على نحو التقريب صرح العقيد زوباتوف مدير إدارة البوليس السري في موسكو بقوله: "ينبغي تأييد الصهيونية، وبصفة عامة يجب اللعب على التطلعات القومية".

وقد دخل فولفسون "خليفة" هرتزل في مفاوضات مع الوزير القيصري ستوليبين لبحث كيفية الاستعانة بالصهيونية لتعويق اشتراك اليهود في الحركة الثورية. وقد شن "منظرو" الصهيونية حملة افترائية ضد الماركسية في منشورات صادرة في روسيا القيصرية على شاكلة: "المسألة القومية أمام محكمة الاشتراكية ـ الديمقراطية" بقلم باسمانيك؛ "الماركسية والمسألة اليهودية"، "حول الاشتراكية ـ الديمقراطية اليهودية" بقلم أديلسون؛ "البوند والصهيونية" بقلم جابوتينسكي.

وفي عام 1917 أعلن المؤتمر السابع للصهاينة في بتروجراد عن تأييده للحكومة البورجوازية المؤقتة في صراعها "ضد أعدائها" وفي عام 1918 انعقد في موسكو تحت قيادة الصهاينة مؤتمر لمندوبي الطوائف الدينية اليهودية في عامة روسيا واتخذ قرار كان معادياً، في مضمونه كله، لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى. وقد دعا المغامر جابوتينسكي إلى تكوين "وحدات

مسلحة" صهيونية لمساعدة عصابات بتلورا التي كانت تقوم بمذابح اليهود. وكتب باسمانيك عام 1919 في مجلة خاضعة للحرس الأبيض "أو بشيه ديلو" "القضية العامة" "إن البلشفية تمثل الخطر الأعظم على يهود روسيا أجمعين".

إن التطرف في معاداة السوفييت والشيوعية لا يزال يصيغ نشاط الصهاينة الحاليين و"منظمتهم الصهيونية العالمية" ذات الفروع في أكثر من 60 بلدا من بلدان العالم، و"المؤتمر اليهودي العالمي". وقد صرح بيجين زعيم حزب "حيروت" الصهيوني وهو أكثر أحزاب إسرائيل شوفينية، صرح بقوله: "يجب أن نظهر للعالم كله أننا نمثل أشد الحركات عداء للشيوعية".

كذلك فإن بيلي جيمس خارجيس المبشر الإنجيلي الأمريكي الشهير، وزعيم "الحملة الصليبية المسيحية ضد الشيوعية"، قد زار دولة إسرائيل وكتب مقالاً في مجلة "تايم" جاء فيه: "إن رحلتنا إلى إسرائيل لم تكن فقط ذات طابع ديني. فأنا أريد أن نلتقي نحن، المعادين للشيوعية، بالمعادين للشيوعية في المناطق الأخرى من العالم. وإسرائيل هي قلعة ضد الشيوعية".

وفي كل مكان ينظم الصهاينة تجمعات ولقاءات ومؤتمرات ومسيرات معادية للسوفييت، كما يقومون بعمليات الاعتداء السافل على المواطنين السوفييت.

ولقد خاضت الماركسية ــ اللينينية على الدوام نضالاً لا هوادة فيه ضد العداء للسامية وضد الصهيونية.

الخرافة الأولى: حول "أبدية العداء للسامية"

يزعم الصهاينة أن أيديولوجيتهم كلها قد نشأت كرد فعل لمعاداة السامية، التي لا يعتبرونها مرتبطة بالصراع الاجتماعي والسياسي الدائر في المجتمع، وإنما يعتبرونها أبدية طالما كان لليهود وجود بين قوميات أخرى. ويزعم الصهاينة أن الماركسية ليست قادرة على تفسير أسباب معاداة السامية لأنها تتجاهل اللامعقول في السيكولوجية البشرية، فالعداء العنصري والكراهية بين الشعوب إنما يتلازمان حتماً مع المجتمع البشري ويقبعان في أعماق اللاوعي البشري... في التكوين النفسي.

ولقد أثبتت الماركسية أن المفتاح إلى أسرار نشوء ووجود معاداة السامية لا ينتمي إلى السيكولوجيا (علم النفس) بل ينتمي إلى السوسيولوجيا (علم الاجتماع). وفي معرض دحضه "لأسطورة الصهاينة حول أبدية معاداة السامية"، أشار لينين إلى أن ذلك يعتبر أحد أشكال القهر القومي والعنصري وأن معاداة السامية ترجع إلى نفس الأسباب العامة التي تفضي إلى اضطهاد وقمع القوميات الأخرى. فالرجعية الإمبريالية تستغل الشوفينية

والعنصرية ــ على نطاق واسع ــ من أجل تأجيج الصراعات القومية والعنصرية لملاحقة قوميات وأجناس بأسرها (معاداة السامية، الاضطهاد العنصري للزنوج وشعوب البلدان النامية)، ومن أجل إخماد الوعي الطبقي للكادحين، وصرف البروليتاريا وحلفائها عن الصراع الطبقي. ولقد ظهر مصطلح "معاداة السامية" في ثمانينات القرن الماضي عندما تأسس الحزب الرجعي الديني في برلين.

إن المعادين للسامية والصهاينة إنما يتناولون ما يسمى بالمسألة اليهودية بأسلوب عنصري بدلاً من الأسلوب الطبقي. فالمعادون للسامية يصمون اليهود بكل الموبقات، والصهاينة يصورون اليهود جميعاً من الأبرار. المعادون للسامية يعتبرون اليهود كلهم صهاينة مكشوفين أو متسترين، والصهاينة يرون في غير اليهود جميعهم أعداء ألداء لليهود. معاداة السامية تدعو إلى أنه لا يجوز اعتبار اليهود مواطنين للبلاد التي ولدوا وتربوا فيها ويشاركون في حياتها الثقافية والسياسية وإلى ضرورة اعتبارهم أبناء أمة أخرى يحسن التخلص منها. والصهيونية، هي الأخرى، تدعو إلى ضرورة تهجير كافة اليهود إلى إسرائيل. الزعماء الصهاينة يرون في معاداة السامية تلك الهراوة التي تساعد على طرد اليهود من البلدان التي يعيشون فيها وخلق "الوطن القومي"

في فلسطين. وفي عام 1933 أخذ يواخيم برينتس رئيس المؤتمر اليهودي الأمريكي يشكو من أن "الشبان اليهود لا يكترثون بالتقاليد اليهودية العريقة ويشبون غرباء عن الدين" ثم عبر عن رأي مذهل بأن الفاشية الألمانية بملاحقتها لليهود... سوف تردهم إلى الإيمان بالله.

لقد أحرق الفاشيست في أفران معسكرات الاعتقال وأبادوا عن طريق غرف الغاز، وأعدموا شنقا ورمياً بالرصاص، وعذبوا عشرات الملايين من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال من شتى القوميات ومن بينهم ستة ملايين من اليهود... وقد تكبد الشعب السوفييتي أفدح خسارة في الصراع ضد الفاشية: عشرين مليون شهيد وملايين المشوهين.

وفي الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الأخرى صفيت القاعدة الاجتماعية لمعاداة السامية إذ صفيت الطبقات الاستغلالية. وهنا أصبحت معاداة السامية عملاً منافياً للقانون وحرمت تماماً أية دعاية ذات طابع معاد للسامية.

الخرافة الثانية: عن "الجنس اليهودي"

يزعم الدعاة الصهاينة أن اليهود هم "أنقى جنس خلقه الله". العلم لا يعرف أصل اليهود القدماء، تلك القبائل السامية البدوية

التي نزحت تدريجياً من الجزيرة العربية إلى فلسطين. وقد كتب أنجلز أن "اليهود يعتبرون كغيرهم من القبائل البدوية الصغرى"، وأنهم قد انفصلوا مبكراً عن "جيرانهم الذين يمتون إليهم بصلة القربى، ولكنهم ظلوا قبائل رحل".

وقد أشار لينين إلى أن "الخصائص القومية بل والعنصرية لليهودية مرفوضة من جانب الأبحاث العلمية المعاصرة..." فيهود العالم كله لا يرجعون إلى جنس واحد. فليس في الطبيعة نمط عنصري محدد لليهودي. اليهود الصينيون لهم ملامح صينية بارزة واليهود الحبشيون شديدو الشبه بالسكان الأصليين. وما السمات العنصرية العامة المتصورة لليهود غير ملامح مميزة لمجموعات معينة من اليهود بالقياس إلى سكان هذا البلد أو ذاك، وهي ليست بحال من الأحوال ملامح عامة مميزة لكافة اليهود. وإذا كانت هناك ملامح مشتركة فهي ترجع إلى الوحدة الاجتماعية ــ الاقتصادية والدينية السابقة وإلى ظروف الوجود المغلق، وتحول اليهود في غالبيتهم إلى أهالي مدن يعملون بالحرف والتجارة. وقد استشهد لينين بالمؤرخ الفرنسي رينان الذي قال إن "الملامح الخاصة لليهود ونمط حياتهم تعتبر نتاجاً للظروف الاجتماعية (necessities sociales) التي أثرت فيهم على مدى القرون أكثر بكثير مما تعتبر ملمحاً عنصرياً (nénomène de

(race. والواقع أن اختلاط الناس من شتى القارات على مدى القرون قد أدى إلى أن الأرض لم يعد يعيش فوقها منذ زمان "جنس واحد نقي". وبالتدريج تزول الفروق العنصرية ذاتها. وفي المقال، الذي استشهد به لينين، وهو بعنوان "اليهودية جنساً ودياً"، يقول رينان: "إن هذا الجنس الذي يعتبر مثلاً أعلى للنقاء الذي استمر على مر القرون، بفضل تحريم الزواج المختلط، قد تعرض بنفس القدر تقريباً للاختلاط مع الأجناس الأخرى، مثله في ذلك مثل سائر الأجناس".

ويمكن التأكُّد تماماً من عدم وجود "جنس يهودي" بتناول الوضع في إسرائيل ذاتها، فطبقاً لمعطيات مجلة "نيوزويك" الأمريكية، يتجمع في إسرائيل أناس قادمون من أكثر من 90 بلداً. وهم يتكلمون بسبعين لغة. ففي إسرائيل إلى جانب اليهود من أوروبا الوسطى وبلاد البلطيق والبلدان الاسكندناوية يوجد يهود الجزائر ذوو الشعر الأشعث واليهود السمر القادمون من الحبشة، وأشباه السود والسود القادمون من الهند، والصفر البشرة القادمون من الصين. وكلهم متمايزون بعضهم عن بعض بخصائص أنثروبولجية وسيكولوجية ولغوية. وفي كتاب كاتسنيلسون "ثورة الاشكناز" الصادر عام 1964 في تل أبيب نقف على حقائق عديدة حول العداء القائم بين مختلف

المجموعات السلالية لليهود. واليهود "السيفارد" الذين ترجع أصولهم إلى اليهود الإسبان والبرتغاليين يعيشون في إسرائيل في وضع "المنبوذين من الجنة اليهودية". وما أتعس حال "اليهود السود" فهم يشكلون أكثر من 70٪ من أهالي الأحياء الإسرائيلية الفقيرة، 80٪ من الشباب العاطل، 70٪ من محترفات البغاء.

ما أكثر "الذرائع" التي يتحجج بها الصهاينة لإثبات وجود "جنس يهودي". بسمانيك يؤكد أن "اليهودية تعتبر جنساً خاصاً" وهو يبحث عن دليل على ذلك في أن اليهودية قد "خلقت مثلاً أعلى للعقيدة الوحدانية الأخلاقية" ــ التي لا يمكن تفسيرها إلا "بالنفسية العنصرية المتميزة لليهود الفلسطينيين".

وينطلق عتاة الرجعيين المدافعين عن الصهيونية في بحوثهم من النظرية العنصرية، تلك النظرية التي استغلها الفاشيون كأساس أيديولوجي لإبادة اليهود. فهم يتشدقون بشعارات "وحدة الدم" و"الأخوة في الدم" و"نداء الدم". ولقد أثبت العلم انتفاء الفوارق بين دماء مختلف الأجناس والشعوب. فالدم ينقسم من حيث تركيبه الكيماوي إلى عدة فصائل، لا علاقة لها باختلاف السمات العنصرية والسلالية. وتوجد فصائل الدم هذه حتى لدى القردة العليا الشبيهة بالإنسان...

ولقد أدى هذا الهراء العنصري إلى اتخاذ الكنيست الإسرائيلي قانوناً يعتبر اليهودي من يولد لام يهودية ويدين باليهودية. ويعترف حاييم كوهين عضو المحكمة العليا في إسرائيل بأن "سخرية القدر قد شاءت أن تكون المعايير البيولوجية والعنصرية التي روجها النازيون والتي استوحيت منها "قوانين نورنبرج" المخزية هي نفسها الأساس لتحديد المواطنة رسمياً داخل إسرائيل". ولقد كانت المادة الرابعة من برنامج الحزب النازي تقرر بأن "المواطن هو فقط من ينتمي إلى الجنس الألماني ومن تجري في عروقه الدماء الألمانية". ومن هنا فلم يكن من قبيل الصدفة في ألمانيا الهتلرية أن يعلن جونتر المعادي اللدود للسامية عن إعجابه "بالحل الجيد الذي اقترحته الصهيونية للمسألة اليهودية وهو فصل اليهود عن غير اليهود".

وبالرغم من كل الإجراءات التي يتخذها رجال الدين الصهاينة، فإن الجماهير الفقيرة في إسرائيل لا تعتنق هذه الأفكار في كل الأحوال. وقد أذاعت وزارة الشؤون الدينية في إسرائيل أنه في عام 1970 وحده تزوجت 207 فتيات يهوديات من رجال عرب. والمعروف أن العرب في إسرائيل يتعرضون لاضطهاد عنيف.

طبقاً لمعطيات الأمم المتحدة، اضطر 900 ألف عربي، خلال حرب 1948 ــ 1949، إلى النزوح عن ديارهم الواقعة في المناطق التي احتلتها إسرائيل، وذلك تحت ضغط قوات الاحتلال الإسرائيلي، وطلباً للنجاة من القمع الدموي. وفي 30 يونيو (حزيران) 1966 بلغ عدد اللاجئين من إسرائيل 1317749 شخصاً. وعلى أثر العدوان الإسرائيلي على مصر وسوريا والأردن في يونيو (حزيران) 1967 ازداد عدد اللاجئين بواقع مائة وخمسين ألفاً. ومنذ عام 1967 دمرت سلطات الاحتلال الإسرائيلي 8 آلاف منزل وقتلت خمسة آلاف شخص.

إن جميع الناس الشرفاء يطالبون بالكف عن مطاردة المواطنين العرب في إسرائيل. ولقد دعا عالم الفيزياء الشهير ألبرت آينشتين إلى الصداقة بين اليهود والعرب، فمن أقواله: "إن الطبقة الكادحة هي وحدها القادرة على خلق علاقات سليمة متبادلة بين اليهود والعرب..." وفي إسرائيل يدين كثيرون من العلماء البرجوازيين سياسة زعمائها المتسمة بالشوفينية ومعاداة العرب. وقد أكد البروفيسور يعقوب تالمون في رسالته المفتوحة التي نشرتها صحيفة "معاريف" بأن "طرد العرب من أراضيهم الأصلية إنما يذكر إلى حد كبير بما كان الفاشيست يفعلونه". وفي يوليو (تموز) 1971 كوثيقة رسمية للجمعية العمومية ومجلس

الأمن للأمم المتحدة نشر حديث صحفي مع البروفيسور ساهاك رئيس الرابطة الإسرائيلية للدفاع عن حقوق الإنسان. وقد تناول في الحديث مهام الرابطة التي تخوض نضالاً ضد القوانين "الاستثنائية" المطبقة في إسرائيل، وضد المعاملة القاسية للمعتقلين، وهدم المساكن العربية والعقاب الجماعي وغيرها من الإجراءات التي تنتهك الحقوق الأولية للإنسان بكل الفظاظة.

ولقد أشارت الوثيقة الأساسية للمؤتمر العالمي للأحزاب الشيوعية والعمالية المنعقد عام 1969 إلى الصهيونية ومعاداة السامية كوجهين لعملة واحدة.. هي العنصرية. وتدعو هذه الوثيقة إلى مكافحة العنصرية على الصعيدين الأيديولوجي والتطبيقي وإلى مقاومة الاضطهاد الذي يتعرض له العرب في الأراضي المحتلة وفي إسرائيل. كما تدعو الوثيقة إلى النضال ضد مظاهر الاضطهاد العنصري والقومي وضد الصهيونية ومعاداة السامية، التي تؤججها القوى الرأسمالية الرجعية، وتستغلها لتضليل الجماهير سياسياً.

الخرافة الثالثة: حول "الأمة اليهودية العالمية"

يزعم الصهاينة وجود "أمة يهودية عالمية". ولقد انتقد لينين "الفكرة الصهيونية التي تتعلق بالأمة اليهودية". كما جاء في

موضوعات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي حول "المسألة اليهودية والصهيونية في أيامنا الراهنة". إن الماركسيين قد رفضوا دوماً النظرية الصهيونية كنظرية رجعية تتنافى تماماً مع الواقع وتزعم وجود "أمة يهودية عالمية"، وتزعم أن يهود العالم أجمع، الذين يعيشون في مختلف البلدان وفي ظل مختلف أنظمة الحكم إنما يشكلون أمة واحدة بالرغم من أنهم لا يتمتعون بوحدة اقتصادية ولا بوحدة الأرض والثقافة واللغة.

ويؤكد كثيرون من الصهاينة بأن اليهود "أمة لا مكانية" ولكن ليس بالمعنى المادي بل المعنى الروحي (يقصد بذلك المعنى الديني). ويؤدي هذا إلى الاعتقاد الغيبي بأن اليهود حملة "رسالة قومية روحية" خاصة. ويعتبر الصهاينة اليهودية "ظاهرة ثقافية خارقة"، تشكل الأمة. لكن الدين لم يضطلع أبداً بهذا الدور وليس في وسعه أن يضطلع به. فليس نادرا ما يعتنق أبناء الشعب الواحد أدياناً مختلفة وبالعكس فقد تعتنق شعوب مختلفة ديناً واحداً. فقد كان اليونانيون والرومان القدماء يدينون بأرباب واحدة. كذلك فإن المسيحية والإسلام لم يحولا دون نشوء شعوب وأمم وثقافات متباينة.

الخرافة الرابعة: "حول الوحدة اليهودية التي تخرج عن الإطار الطبقي"

يـزعم الصـهاينة أن العـداء "الأبـدي" للسـامية قـد أدى إلى "تلاحم" كافة اليهود بحيث اختفت بينهم التناقضات الطبقية. لقد انتقد لينين المزاعم حول "وحدة جميع اليهود خارج الإطار الطبقي". وقال: "إن أعداء العمال هم الرأسماليون من جميع البلدان. ويوجد بين اليهود عمال وكادحون يشكلون الأغلبية. إنهم أخوتنا في التعرض لقهر الرأسمال، ورفاقنا في النضال من أجل الاشتراكية. وبين اليهود كولاك (أثرياء الفلاحين) واستغلاليون ورأسماليون كما بين الروس وسائر الأمم. والأثرياء اليهود كالأثرياء الروس وأثرياء كافة البلدان يتحدون فيما بينهم على قمع وقهر ونهب وتفرقة العمال".

وتاريخ اليهود هو تاريخ الصراع الطبقي بين المقهورين والقاهرين. وفي معرض وصف الصراع الاجتماعي بين اليهود البولنديين في العصور الوسطى والعصر الحديث، اضطر المؤرخ البرجوازي دوبنوف إلى الاعتراف بأن "أثرياء اليهود قد قلدوا النبلاء البولنديين في استغلال الجماهير الكادحة الفقيرة، وأن الحاخامات مثلهم في ذلك مثل رجال الدين البولنديين قد وقفوا إلى جانب الأثرياء. والطغمة العلمانية والدينية قد طغت على

الطائفة بالتوزيع غير العادل المثير للاحتجاج للضرائب الحكومية والطائفية إذ كانت تلقي أكبر الأعباء على كاهل الطبقات غير المالكة مما وصل بها إلى حد الإفلاس".

ولقد أدى نمو الرأسمالية في روسيا إلى ظهور البروليتاريا اليهودية، التي اندمج صراعها الطبقي ضد القيصرية والبرجوازية مع الصراع الطبقي للعمال الروس والأوكرانيين والبيلوروسيين.

وكما أشار إليه لينين "فإن الحركة التحررية لليهود في روسيا أكثر عمقاً واتساعاً بفضل يقظة الوعي البطولي بين البروليتاريا اليهودية".

وفي عام 1903 كتب لينين مقالاً بعنوان "هل تحتاج البروليتاريا اليهودية إلى "حزب سياسي مستقل" قال فيه أن نداء الاشتراكيين ـ الديمقراطيين في يكترينوسلاف "إلى عمال مدينة يكترينوسلاف" يعتبر منشوراً ممتازاً، لأنه "يوضح على نحو رائع.. موقف الاشتراكيين ـ الديمقراطيين من الصهيونية ومعاداة السامية". فالمنشور يفضح خرافة الشعب اليهودي الواحد الذي لا يتجزأ: تاجر الشاي الصهيوني الشهير فيسوتسكي يستغل بنفس القدر عماله اليهود والروس والتتر، وصاحب فابريكة الثقاب الصهيوني زاكس قد اشتهر باستغلال العاملات اليهوديات.

إن صفوف اليهود لم تضم فقط البارونات من آل جينسبورج، وملك السكك الحديدية بولياكوف، وصاحب مصانع السكر برودسكي، بل ضمت أيضاً الثوار البروليتاريين المرموقين سفردلوف، وأوريتسكي، وفولودارسكي. كما كان ليتفينوف وزملياتشكا مندوبين لصحيفة "الايسكرا" البلشفية.

ويحاول الصهاينة إلهاء البروليتاريا اليهودية عن الصراع الطبقي بأساطير عن أن "اليهود كلهم أخوة" وأنه لا ينبغي عليهم الانخراط في الصراع من أجل التقدم الاجتماعي في البلدان الرأسمالية التي يعيشون فيها، وأنه يتوجب عليهم البحث عن السعادة في "بلد الآباء الأوليين".

الخرافة الخامسة: حول مضار اندماج اليهود:

انتقد لينين الآراء الصهيونية التي تزعم أن اندماج اليهود ضار للغاية بالنسبة لهم. ولقد قال ماكس نورداو، الذي شارك هرتزل في تأسيس الصهيونية، عن اليهود المندمجين الذين تخلوا عن الديانة اليهودية: "إننا نأسف على شيء واحد فقط وهو أن الدم اليهودي يجري في عروقهم، والحق أنه ليس دماً بل غسالة".

وفي معرض التنديد بمن يعارضون الاندماج قال لينين في مقال بعنوان "وضع البوند في الحزب": "في كل أوروبا مضى سقوط العصور الوسطى وتطور الحرية السياسية جنباً إلى جنب مع التحرر السياسي لليهود، مع انتقالهم من "الرطانة" إلى لغة الشعب الذي يعيشون وسطه، وعموماً مع التقدم الأكيد في اندماجهم بالسكان المحيطين بهم". وأشار لينين إلى أن القضية اليهودية تطرح على النحو التالي بالذات: اندماج أم انغلاق. وقد عارض بحزم ما روجه الصهاينة عن انغلاق الكادحين اليهود عن كادحي القوميات الأخرى التي يعيشون وسطها. وكتب لينين يقول: "ليس بماركسي، بل ولا بديمقراطي، من لا يعترف ولا يدافع عن الحقوق المتساوية للأمم واللغات، من لا يناضل ضد أي مظهر للاضطهاد القومي أو اللامساواة في الحقوق. هذا أكيد. ولكن الأكيد بنفس القدر أن كل ماركسي مزعوم يسب سباباً شديداً ماركسياً من أمة أخرى بسبب "الدمج" إنما هو في الواقع **مجرد قومي ضيق الأفق**".

وحتى في البلدان الرأسمالية يتحرر كادحون كثيرون من رواسب التعصب القومي. وفي عدد من المدن الأمريكية تصل نسبة الزواج المختلط بين اليهود 40٪ وفي أستراليا تصل النسبة إلى 70٪.

وفي الاتحاد السوفييتي تعتبر عملية التقارب والاندماج القومي عملية طبيعية وهي تتحقق كما أشار لينين من خلال "الاتحاد الأخوي الحر تماماً بين جماهير العمال والكادحين لكافة الأمم".

الخرافة السادسة: حول الجوهر الديني للصهيونية:

يسعى المبشرون الصهاينة إلى اتخاذ الديانة اليهودية قناعاً لأهدافهم السياسية. فمنذ المؤتمر الصهيوني الثالث عام 1899 شكا هرتزل ونورداو من أن ملايين المتدينين اليهود لا يعرفون ولا يريدون معرفة شيء عن الصهيونية.

لقد حاول مفكرو الصهيونية، بشتى الأساليب، ربط الصهيونية بالدين اليهودي، وذلك لأن الصهيونية قوبلت بالرفض من الجانب الأعظم لليهود "الأرثوذكس" الذين لا ينوون الرحيل عن البلاد التي ولدوا وعاشوا فيها. ولقد كان حجة هؤلاء أن الفكرة الصهيونية لإقامة دولة دون انتظار "المخلص" إنما تتناقض مع التلمود الذي يقضي بأن الرب ذاته هو الذي سوف "يجمع اليهود". وقد بلغ الأمر ببعض الحاخامات إن حرموا قادة الصهيونية من حقوق عضوية المعابد، ودعوا اليهود المتدينين إلى مقاطعتهم التامة، على أساس أن أفكارهم "غير اليهودية تلحق

الضـرر بعقيـدتنا المقدسـة وتهـدم أسسـها، وإن التـوراة تحـرم الصهيونية". ولا زال السيفارد للآن يرون إن "دولة إسرائيل ليست هي الأرض المقدسة حقاً"، ويعتقدون بأن "المخلص سيفتح أمامهم أبواب أرض الميعاد". ولقد كانت منظمة "أجودات إسرائيل" الدينية المتطرفة تتخذ مثل هذا الموقف عند تأسيس دولة إسرائيل عام 1947... ولكن كثيرين من الحاخامات تحالفوا مع الصهاينة بالتدريج.

في القرن التاسع عشر تخلت اليهودية الإصلاحية عن الإيمان بعودة اليهود إلى فلسطين وأسقطت من الشعائر الصلاة المتعلقة بذلك. وقد أعلن الاصلاحيون أن اليهود ليسوا أمة، بل طائفة دينية. وأكدوا أنه "لا يجوز الآن النظر إلى التطلعات اليهودية المتعلقة بالمخلص كرغبة في إعادة المملكة اليهودية القديمة، بل كأمل في تحرير كافة الناس من النقائص، وتحقيق السعادة في الأرض". وفي الولايات المتحدة أعلن الاصلاحيون أن "أمريكا هي جبل صهيون، صهيوننا". إلا أن زعماء اليهودية الإصلاحية في الولايات المتحدة وافقوا في مؤتمرهم عام 1937 على قرار الإعلان الصهيوني.

بصفة خاصة استغل الدعاة الصهاينة خرافة أن اليهود هم "شعب الله المختار".

ولقد دأب المفكرون التقدميون على نقد فكرة "اختيار الله للشعب اليهودي" وتميزه بفضائل خاصة أو رذائل معينة.

وفي العالم كله تواجه الصهيونية بمعارضة متزايدة في قسم من اليهود المتدينين وغير المتدينين على حد سواء. وتوجد في الولايات المتحدة منظمة تسمى "اللجنة الأمريكية لليهودية" ينص برنامجها على "التعارض الجذري مع التطبيق الصهيوني الذي يأخذ بالانغلاق الذاتي والانفصال القومي الصهيوني". وقد كتب الدكتور ألمر بيرجر الحاخام الذي يتزعم هذه اللجنة: "نحن لا نعترف بالصهيونية. وليس لنا كما لا يجب أن تكون لنا أية واجبات ولا حقوق قومية إزاء مواطني إسرائيل". و"بالنسبة لليهود الأمريكيين المعادين للصهيونية تعتبر إسرائيل دولة أجنبية تماماً كما هي بالنسبة للأمريكيين على اختلاف معتقداتهم". وقد أعلنت "اللجنة الأمريكية لليهودية": "...نحن لم نعد نعتبر أنفسنا أمة، بل نعتبر أنفسنا طائفة دينية. ولذلك فنحن لا ننتظر العودة إلى فلسطين ولا القرابين الشعائرية ولا إعادة تطبيق أية قوانين للدولة اليهودية". ويدعو بيرجر إلى "الكف عن تمويل سياسة الاحتلال الإسرائيلي التي تتعارض مع مصالح الولايات المتحدة ومصالح السلام في المقام الأول".

وقد أسس موشى منوهين (الجمعية اليهودية الأمريكية المناهضة للصهيونية). وقد ولد موشى منوهين في روسيا عام 1895 وتلقى تعليمه المتوسط في مدرسة صهيونية في يافا بفلسطين ثم تخرج في جامعة نيويورك. وأصدر عام 1965 كتاباً بعنوان "انحطاط اليهودية في عصرنا" (صدرت الطبعة الثانية عام 1969) وهو في هذا الكتاب ينتقد الصهيونية من مواقع اليهودية التقليدية. ويصرح منوهين بقوله: "إنني أعترف باليهودية ديناً لي، لكنني أرفض "اليهودية القومية للصهاينة".

وبتاريخ 11 مارس (آذار) 1971 نشرت "نيويورك تايمز" مقالاً للحاخام حاييم بلاو بعنوان "الصهاينة يبيعون الشعب اليهودي". يقول حاييم بلاو: "ليس للسياسيين الصهاينة حق التكلم باسم الشعب اليهودي... فالأعمال الراهنة للصهيونية قد جعلتها عدواً لدوداً للشعب اليهودي".

وما أكثر ما عبرت الطوائف الدينية اليهودية في مختلف البلدان عن إدانتها للصهيونية. ففي 23 مارس (آذار) 1971 عقد في موسكو مؤتمر لممثلي الطوائف الدينية اليهودية في الاتحاد السوفييتي. وقد أعرب المؤتمر عن احتجاجه على الأعمال الاستفزازية التي تقوم بها المنظمات الصهيونية العالمية. وأقر المجتمعون بياناً جاء فيه أن الطوائف الدينية اليهودية في الاتحاد

السوفييتي تدين بحزم تطاول الدوائر الصهيونية العالمية وحكام إسرائيل للتكلم باسم اليهود السوفييت المؤمنين، والدفاع عنهم ضد الإهانات والاضطهادات المزعومة. "نحن ــ كما جاء في البيان ــ نشارك بهمة في النشاط الإبداعي لمجتمعنا ولن تعوقنا عن ذلك أي دسائس من جانب الصهاينة ــ خدم الإمبريالية الأوفياء".

الخرافة السابعة: حول "أرض الميعاد"

يؤكد دعاة الصهيونية وكأن التعلق "بأرض الميعاد" قد عاش منذ القرون في قلب كل يهودي.

وعلى الرغم من مزاعم التطلع الأبدي إلى فلسطين لم يظهر اليهود تطلعاً إلى الرحيل إلى هناك. فقبيل الحرب العالمية الأولى كان تعداد السكان في فلسطين يبلغ 750 ألف نسمة ثمانية أتساعهم من العرب وتسعهم فقط من اليهود... وقد عبر الكاتب اليهودي ميندل مويخر سفوريم عن مزاج الملايين من الكادحين اليهود بقوله: "إن وطننا هو البلد الذي ولدت وماتت فيه أجيال عديدة من أسلافنا والذي ولدنا نحن ونعمل وسوف نموت فيه".

إن الصهاينة لا ينطلقون من العلاقة الفعلية لليهود بالوطن الحقيقي حيث ولدت وعاشت وعملت أجيال عديدة، بل ينطلقون من العلاقة الوهمية بالأرض التي خرج منها أسلاف اليهود منذ

آلاف من السنين. فمنذ القرن الأول الميلادي كان في فلسطين 700 ألف يهودي على حين كان عدد اليهود في البلدان الأخرى يبلغ أربعة ملايين. وفي عام 1939 كان عدد اليهود في فلسطين 200 ألف على حين كان عددهم في البلدان الأخرى ستة عشر مليونا. وفي الوقت الراهن يبلغ عدد اليهود داخل إسرائيل حوالي ثلاثة ملايين نسمة بينما يبلغ عدد اليهود خارج إسرائيل ما يزيد عن عشرة ملايين. وباعتراف آرى بينكوس مدير الوكالة اليهودية "جوراساليم بوست" من أصل كل تسعة أشخاص يحضرون إلى إسرائيل يعود فيما بعد إلى وطنه الأصلي شخص واحد. وتعتبر البطالة والفقر من أسباب الهجرة من إسرائيل. "وتدل المعطيات الإحصائية ـــ كما ذكرت مجلة "نوفيل أوبزرفاتير" الفرنسية ـ على أن مستوى المعيشة الحالي لأكثر من 300 ألف إسرائيلي هو دون الكفاف. فهؤلاء الناس محكوم عليهم بالوجود التعس. وطبقاً للمعطيات الرسمية وحدها، تعيش 65 ألف أسرة إسرائيلية في حالة من "الفقر التام".

إن الجماهير اليهودية لا ترغب في الرحيل إلى إسرائيل. وهي تعتبر وطنها البلد الذي ولدت وتعيش فيه. وقد صرّحت بذلك طوائف يهودية عديدة في مختلف الدول. فقد رحل من الولايات المتحدة إلى إسرائيل تسعة آلاف فقط من أصل ستة ملايين.

لا تتبقى من الخرافات أية آثار حينما يشرع المرء في النظر إلى حقيقة الأمور، حينما يقيم الحقائق والأحداث بواقعية، حينما يقارن بين الادعاءات والوقائع، حينما يحلل.. فهنا يمكن التيقن من صحة الاستنتاجات إذ إن تحليل الخرافات الصهيونية يكشف عن مضمونها الرجعي المناهض للعلم بوصفها أحد مظاهر الشوفينية والعنصرية.

مجلة «نيفا» عام 1973، العدد(5)

المنشأ والجوهر الرجعي
للمبادئ السياسية الصهيونية

بقلم دييف

تعتبر الأيديولوجية السياسية للصهيونية حلقة لا تنفصل عن سائر حلقات الأيديولوجية البرجوازية. وهي تلعب دورها الخاص في إطار الاستراتيجية العامة للإمبريالية. والصهيونية المعاصرة بمثابة امتداد لذاك التيار الرجعي البرجوازي والبرجوازي الصغير، الذي أعلن منذ نهاية القرن الماضي أنه يهدف إلى "بعث اليهودية العالمية" سياسياً وروحياً وثقافياً على أساس المبادئ الرجعية الشوفينية، والذي تميز منذ البداية بتضارب وديماجوجية برامج كافة جماعاته. وعلى الأساس العنصري المشترك تلتقي، الآن، وتتفاعل وتتكامل التصورات الاشتراكية المزيفة، والدينية التيوقراطية، والليبرالية، والمحافظة المتطرفة

فيما يتعلق بالطرق والأساليب السياسية لتوطيد الصهيونية في إسرائيل والعالم أجمع. ويتمثل ذلك في تعدد الأحزاب الصهيونية والتجمعات السياسية داخل إسرائيل والحركة الصهيونية العالمية، وفي دورها الهام في الحياة السياسية الإسرائيلية. وتتخذ مختلف الاتجاهات الصهيونية الواحدة من حيث مبادئها السياسية والأيديولوجية، شتى الصبغ الأيديولوجية، والوسائل الحاذقة في التأثير على قلوب وعقول الناس. لذلك فإن النقد المتعمق للصهيونية نظرية وتطبيقاً لا يستطيع إلا أن ينطلق من التناول التفاضلي لشتى "صبغ" الأيديولوجية الصهيونية. وثمة مكانة هامة في هذا الصدد للتحليل العلمي لمنشأ "الأفكار" الصهيونية ذاتها، تلك "الأفكار" التي صارت الآن منطلقاً للأيديولوجية الرسمية في دولة إسرائيل والمنظمات الصهيونية الدولية.

الاشتراكية الديماجوجية الزائفة

إن الأهداف الطبقية للبرجوازية اليهودية هي الأساس في التحركات والدعاية الصهيونية. ومنذ البداية كانت الصهيونية أيديولوجية برجوازية رجعية تتفانى في خدمة الإمبريالية والاستعمار، وتلجأ ـ لأغراض ديماجوجية فقط ـ إلى الشعارات الديمقراطية والاشتراكية لأجل التأثير على الجماهير العريضة من اليهود. وهنا ظهر نفاق الأيديولوجية الصهيونية. وبصفة دائمة

كانت الصهيونية مظهراً ليس فقط لطموح البرجوازية اليهودية لأن تكون الطبقة السائدة في "أمتها". بل كانت أيضاً رد فعل برجوازي على انتشار أفكار الاشتراكية العلمية بين الجماهير اليهودية الكادحة العريضة. ولقد كان من أهداف الصهيونية أن تستعين بالأفكار الشوفينية على تخريب الصراع الطبقي الذي تخوضه البروليتاريا اليهودية متضامنة مع كادحي القوميات الأخرى ضد سيطرة البرجوازية بما فيها اليهودية. وطبقاً لآراء منظري الصهيونية كان لابد أن تبنى الدولة اليهودية على "التعاون" بين الطبقات، وأن تنقاد الطبقة العاملة إلى "صفوة" المجتمع، التي تتكون، بالطبع، من الارستقراطية اليهودية التجارية ـ الصناعية.

وفي زمانه أبدى هرتزل، على سبيل المثال، تأييده السافر للملكية، ووافق بصفة استثنائية على "الجمهورية الأرستقراطية" كشكل للدولة الصهيونية المقبلة.

إن الفكرة الصهيونية الرئيسية عن "وحدة" اليهود كأمة و"أبدية" العداء للسامية الذي زعم أنه سمة مميزة لجميع فئات الأمة السائدة، قد طمست عن عمد قضية التناحرات الطبقية بين اليهود أنفسهم. ولقد أشار لينين إلى أن "فكرة القومية اليهودية تتعارض مع مصالح البروليتاريا اليهودية..." وعن طريق الادعاء

بتمثيل مصالح جميع أفراد القومية اليهودية حاولت الصهيونية أن تؤثر على الكادحين اليهود بأفكار مزعومة على شاكلة "وحدة المصير التاريخي، والدين، ومصالح الثقافة القومية".

وبنشر هذه الأفكار استغلت الصهيونية بنشاط السيكولوجية البرجوازية الصغيرة التي كانت على قدر ما من الذيوع وسط الكادحين اليهود، والتي كانت تدفعهم إلى أحضان البرجوازية اليهودية. وبالطبع لا يجوز التهويل في مدى تأثير الصهيونية على الكادحين اليهود في العالم أجمع وفي مدى قدرتها على إحباط وعيهم الطبقي.

إن الأفكار "الاشتراكية" المزعومة، التي تميز الجناح اليساري للصهيونية، الذي يستهدف التأثير على الكادحين اليهود، هذه الأفكار قد استخدمت في الحركة الصهيونية "كأداة" فقط لتحقيق أهداف برجوازية شوفينية صرف. ومن الضروري التأكيد على ذلك في تقييم شتى الأحزاب والتيارات "الاشتراكية" و"العمالية" الصهيونية السابقة والحالية على حد سواء. وليس من قبيل الصدفة أن الصهاينة "الاشتراكيين" قد اتحدوا دائماً مع التيارات الصهيونية البرجوازية الصرف ضد الاشتراكية العلمية الحقيقية القائمة على أساس الأممية البروليتارية التي تتعارض جذرياً مع الصهيونية.

إن الموضوعة اللينينية القائلة بأن الأيديولوجية البرجوازية والأيديولوجية البروليتارية لا يمكن أن يتعايشا فيما بينهما، لتتأكد كذلك فيما يتعلق بما يسمى "بالصهاينة الاشتراكيين".

إن الصهيونية المعاصرة ذات الصبغة الاشتراكية الزائفة، التي تحتل مواقع قوية داخل الحركة الصهيونية في مجموعها، إنما ترجع إلى الأفكار التي صاغها منظرو الصهيونية "العمالية" في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. وتتمثل القاعدة الأولى لهذه الحركة في مجموعات "عمال صهيون" "بوالى سيون" التي كانت تدافع ـ كما تزعم ـ عن المصالح "الخاصة" للكادحين اليهود.

ونتيجة للتطفل على أفكار الاشتراكية العلمية وللتأثر الشديد بالاشتراكية الإصلاحية الغربية، أعلن الصهاينة "العماليون" بأسلوب ديماجوجي أن "البعث القومي لليهود لا يمكن أن ينفصل عن تحرير الطبقات المقهورة"، هذا من جانب، ومن الجانب الآخر أعلنوا أن "الطبقة العاملة" اليهودية "لن تستطيع أن تحرر ذاتها ما لم تتحرر الأمة بأسرها". وزعموا أن هذين الهدفين لا يمكن أن يتحققا إلا في دولة يهودية خاصة تقوم على أساس مبادئ المجتمع "التعاوني". والآن تتمثل مختلف الاتجاهات للصهيونية "العمالية" أو "الاشتراكية" أساساً في

الأحـزاب "العماليـة" للوسـط اليسـاري وجزئيـاً في الهسـتدروت ("الاتحاد العام للعمل" وهو الاتحاد النقابي الأساسي في إسرائيل)

وأقوى هذه الاتجاهات نفوذاً يقرن بين مبادئ نشاطه العملي وبين المبادئ "الاشتراكية" الأكثر عمومية على النمط العمالي.

ويسود هذا الاتجاه بين مختلف المجموعات التي يوحدها أو يشرف عليها أكبر حزب في الوقت الحالي وهو "الحزب العمالي الإسـرائيلي" الـذي تكـون عـام 1968 نتيجـة لانـدماج الحـزبين "العماليين" "ماباي" و"أحدوت هافودا".

وترجـع منـابع هـذا الاتجـاه إلى خلـيط مـن المبـادئ الأوليـة للاشتراكية الاصلاحية ذات الأساس القومي العام. ولقد ارتبطت أفكـار الاشـتراكية "التعاونيـة" بعـودة اليهـود إلى العمـل العضـلي وفي مقدمته فلاحة الأرض التي ينبغي أن تقوم على أسـاس المنفعـة العامـة وتعتـبر هـذه الأفكـار شـرطاً لتحقيـق "الأمـاني القوميـة" لليهود ولتجسيد "قيمهم العريقة". ولا زالت هـذه الأفكـار تنتشـر على أيدي زعماء حركة الكيبوتز الحديثة بمختلف نزعاتها.

وتحـاول الصـهيونية إخضـاع البروليتاريـا اليهوديـة للبرجوازيـة بواسطة التعبيرات "الماركسية" المزيفة التي تتميـز بهـا أيديولوجيـة حـزب "مابـام". ويـرى يـآرى الـزعيم الأيـديولوجي المعاصـر لحـزب "مابـام" أن: "التحـرر القـومي والاجتمـاعي" يتـألف مـن مـرحلتين،

تتلخّص الأولى منهما في تقوية دولة إسرائيل وتشجيع الهجرة إليها. أما المرحلة الثانية فتتلخص في بناء مجتمع "اشتراكي" يقوم على الملكية العامة والمبادئ التعاونية في الزراعة والصناعة والتجارة. وبذلك، فحتى الآفاق الاشتراكية ــ الاصلاحية الشديدة الغموض والديماجوجية تقدم هي الأخرى ضحية للأهداف الصهيونية المباشرة. وهكذا فلا علاقة البتة بين "الصهيونية الاشتراكية" وبين الاشتراكية العلمية الحقة. وما "الصهيونية الاشتراكية" غير هراء.

لقد اتضح منذ أمد بعيد بكل وضوح العقم العلمي والتطبيقي لاختلاق "اشتراكية يهودية" خاصة. ومع ذلك فإن الدعاية المركزة للاشتراكية الصهيونية الزائفة لا زالت حتى اليوم تلحق أكبر الأذى بنمو الوعي الطبقي للبروليتاريا اليهودية وفئات السكان الفقيرة.

الجوانب الدينية للصهيونية:

من السمات الهامة للأيديولوجية الصهيونية بصفة عامة ذاك الاهتمام البالغ بـ "المعتقدات والمثل العليا اليهودية التقليدية" المرتبطة بالديانة اليهودية. والصهيونية "الدينية" هي المعبر الأساسي عن هذا التيار. وفي فترة نشوء الصهيونية كانت منظمة

"مزراحى" (اختصار لاسم مركاز روحا "المركز الديني") هي التي تمثل هذا التيار. وفيما بعد اضطلعت بهذا الدور منظمة "جاـ بوعال جاـ مزراحى" التي انبثقت عن منظمة مزراحى بهدف الدعاية في أوساط العمال. والآن، تعتبر الصهيونية "الدينية" منطلقاً لسياسة حزب "المفدال" وغيره من الأحزاب الدينية المتطرفة.

ومنذ نشوئها كانت الصهيونية "الدينية" ذات أساس برجوازي صرف له صبغة سياسية محافظة يمينية. والحقيقة أن المزاعم الرجعية للصهاينة "الدينيين" عن "الشعب اليهودي المختار" كشعب التوراة، ومطالب بناء الدولة اليهودية على أساس التقاليد الدينية للماضي التي عاشت في الجيتو اليهودي، ومراعاة عقائد الكتاب المقدس، الحقيقة أن هذه المزاعم تتنافى حتى مع مبادئ الليبرالية البرجوازية.

ليس صدفة أنه للآن لا يوجد في إسرائيل دستور. فليس هناك سوى مجموعة من القوانين الدستورية التي تحدد تنظيم هيئات السلطات العليا. فحينما طرحت مسألة الدستور، عقب إعلان استقلال إسرائيل في عام 1948، قامت الدوائر الدينية الواسعة النفوذ والتي كانت متحالفة مع حزب "مابای" الاشتراكي ـ الاصلاحي الرئيسي، قامت بالاعتراض على وضع

دستور خشية أن يكون شديد العلمانية. ومن الناحية الأخرى فإن القيادة الصهيونية لم ترغب في تقييد نفسها بإطارات دستورية محددة لقانون أساسي واحد، أو بمواد دستورية تكفل الحقوق السياسية الأولية ومنها حرية المعتقد وحق الحصانة الشخصية وما شابه ذلك. وحتى الأدبيات البرجوازية تعترف بأن توفير الحقوق السياسية للمواطنين في إسرائيل يتوقف على تقديرات وأهواء الجيش والبوليس وتفسيرات الأجهزة الحكومية والمحاكم للقوانين. ويحفل الواقع الإسرائيلي بحقائق عديدة تشهد على الاستبداد وسوء استخدام السلطة لاسيما إزاء فئات السكان غير الممتازة وأهالي المناطق العربية المحتلة.

إن الأحزاب الدينية المتطرفة في إسرائيل ترفض الاعتراف بأي دستور غير "القانون المقدس لجبل صهيون". وقد توصلت هذه الأحزاب إلى إقامة مدارس دينية حكومية إلى جانب المدارس العلمانية. كما يتمتع الحاخامات بسلطة قضائية في الحياة الشخصية للمواطنين.

لقد كانت الصهيونية "الدينية" تعبيراً عن خوف رجال الدين من اندماج اليهود الحتمي وانصرافهم ولاسيما الكادحين عن الديانة اليهودية. فرجال الدين قد رأوا في الصهيونية خلاص الديانة اليهودية، وحاولوا منذ البداية جعل المعتقدات الدينية أحد

المحاور الأساسية في الأيديولوجية الصهيونية. ومن هنا فليس من قبيل الصدفة أن مفكري الصهيونية "الدينية" مثل جافيتس ورابنس وغيرهما قد انطلقوا من أن "التوراة هي روح الأمة" وأكدوا أن الديانة اليهودية يمكن أن تزدهر فقط في الدولة اليهودية بالذات. كذلك فإن أكثر فئات البرجوازية اليهودية رجعية في جميع بلدان العالم، والتي كان الحاخامات يشكلون بوقها المخلص، قد كانت على الدوام ترى في الدعاية الدينية الروحية "الثقافية" المنطلقة من روح التوراة أداة قوية مؤثرة في أوسع جماهير اليهود المتدينين لصالح الأهداف الصهيونية البرجوازية الصرف. ولا زالت الأحزاب الدينية حتى الآن تولى اهتماماً فائقاً بمجال التربية والتعليم.

وتبدي الصهيونية "الدينية" حرصاً شديداً على التعاون مع التيارات الأخرى في الحركة الصهيونية. وعلى سبيل المثال فإن المنظمة الدينية الصهيونية "مزراحى" قد أعلنت رسمياً عن ولائها لبرنامج بازل الذي أقره المؤتمر العالمي الصهيوني الأول عام 1897.

كذلك فإن التيارات الصهيونية الأخرى قد أيدت من جانبها التقاليد الدينية "كجزء لا يتجزأ من الثقافة القومية اليهودية".

وليس أدل على ذلك من التعاون الوثيق بين الصهيونية "الدينية" والصهيونية "الاشتراكية". ولقد جد مفكرو التيار

الأخير في استخدام أقوال أنبياء اليهود القدامى عن الشعب اليهودي لتأكيد شعاراتهم الخاصة حول العلاقات الطبقية "الجديدة" في الدولة اليهودية. وقد ساعدوا القوميين الدينيين في جهودهم لتحقيق هجرة واسعة لليهود المتدينين إلى فلسطين ثم إسرائيل فيما بعد، بل ولقد لجأوا هم أنفسهم إلى الذرائع الدينية. وعلى سبيل المثال فإن بن جوريون "الاشتراكي" ورئيس الوزراء الإسرائيلي السابق قد صرح في رسالة بعث بها إلى المؤتمر العالمي الصهيوني في ديسمبر (كانون الأول) 1960، صرح بقوله "إن كل يهودي متدين إنما يخرج على عقائد الديانة اليهودية كل يوم يقضيه في الشتات" منذ قيام إسرائيل.

يصر الزعماء الإسرائيليون على الطبيعة العلمانية لدولة إسرائيل استناداً إلى عدم إعلان دين رسمي للدولة، إلا أن المكانة المرموقة للديانة اليهودية والدوائر الدينية في النظام السياسي لإسرائيل إنما تتعارض بشكل سافر مع الادعاءات بعلمانية الدولة.

الشوفينية والعنصرية البرجوازية

إن الجوهر القومي البرجوازي للصهيونية ليتجلى بوضوح خاص في ذاك الدور الذي لعبته وتلعبه التيارات العلمانية البرجوازية السافرة بشعاراتها السيئة السمعة عن "حرية

المشـروعات الخاصـة" و"حقـوق الفـرد". والواقـع أن المفكـرين الصـهاينة إنمـا يخونـون مـن حيـث الجـوهر المبـادئ الديمقراطيـة البرجوازيـة حـين يسـعون إلى الاحتفـاظ بوضـع اليهـود الخـاص المتميز. ولقد أشار لينين إلى أن ليس من قبيل الصدفة أن تعترض على اندماج اليهود أعتى القوى الرجعية في أوروبا كلها ولاسيما روسـيا وتسـعى إلى الاحتفـاظ بوضـعهم المتميـز. ولقـد كانـت الشـوفينية والعنصـرية البرجوازيـة ولا زالتـا تشـكلان الأسـاس لنشاط المنظمات الصهيونية. فهي تستند إلى آراء هرتزل ونورداو وآحـاد جعـام وغيرهـم مـن مؤسسـي الصـهيونية حـول مـا يسـمى "بتفرد اليهود" والاستخفاف بالشعوب الأخرى لاسيما الأفريقية والآسيوية.

لقـد رأى المفكـرون الصـهاينة للبرجوازيـة الكـبيرة هـدفهم الرئيسـي في توحيـد مختلـف الفئـات البرجوازيـة لليهوديـة العالميـة بكل الطرق، وتحقيق أكبر المنافع لها بالذات من جراء إقامة الدولـة اليهوديـة. ومنـذ البدايـة حتـى الآن يـؤدى هـذا الـدور داخـل الصـهيونية ذاك التيـار الـذي يسـتند إلى "الفئـات الوسـطى" والـذي يحمـل تسـمية الصـهيونية "العامـة". وفي الوقـت الـراهن يتمثـل هـذا الاتجـاه سياسـياً وأيـديولوجياً بصـفة أساسـية في حـزب "حـيروت" والحزب الليبرالي وكتلتهما البرلمانية المعارضة "جحل".

وقد أعلنت الصهيونية "العامة" أن هدفها الهام هو تحقيق برنامج بازل 1897 الذي يعكس المفهوم البرجوازي الخالص للصهيونية.

ولقد حظي برنامج بازل القومي البرجوازي بتأييد التيارات الصهيونية الأخرى. ولكن تطبيق البرنامج اتسم "بتقسيم العمل" بوضوح بين هذه التيارات. فالصهيونية "العمالية" والصهيونية "الدينية" قد ركزتا جهودهما على تحقيق الاستعمار الاستيطاني لفلسطين، والعمل وسط المهاجرين، والاستمالة الأيديولوجية لليهود في العالم كله من خلال المنظمات الصهيونية التابعة لهذين التيارين. أما الصهيونية "العامة" فقد أخذت على عاتقها مهمة التنسيق العام للحركة الصهيونية انطلاقاً من أن "المصالح القومية ينبغي أن تكون فوق المصالح الحزبية والطبقية". وفي هذه السياسة تجلى الدور القيادي الذي لعبته البرجوازية اليهودية العالمية داخل الحركة الصهيونية.

ولقد أبدت الصهيونية "العامة" نشاطاً بارزاً في تنظيم الدعم المالي من جانب البرجوازية اليهودية الكبيرة والدول الإمبريالية.

ومع تطور الحركة الصهيونية ظهرت عدة تيارات بين البرجوازية اليهودية المؤيدة للصهيونية. فالتيار الليبرالي المعتدل بزعامة وايزمان قد مال إلى تأييد النشاط العملي لاستعمار

فلسطين، الذي كان يقوم به الصهاينة "العماليون". (فيما بعد انبثق عن هذا التيار الحزب "التقدمي"). أما ممثلو أكثر الاتجاهات محافظة فقد رأوا في هذه السياسة خطراً على "حرية المشروعات الخاصة" و"الطبقة الوسطى". أما الاتجاه الأكثر رجعية بين الصهاينة البرجوازيين فقد مثلته الحركة التي تزعمها جابوتينسكي والتي أصرت على اتباع سياسة الاغتصاب إزاء شعب فلسطين العربي الأصيل، وعلى إشاعة العلاقات الرأسمالية الخاصة بين المستوطنين اليهود بمزيد من الهمة، وعلى تشديد الصراع ضد نقابات العمال المهاجرين. وفي إسرائيل يمثل هذا التيار الرجعي حزب "حيروت" الذي يتخذ دائماً موقف المعارضة للحكومة، والذي يطالب بالحد من التخطيط الحكومي ومن تدخل الدولة في الاقتصاد، وتقييد حقوق النقابات، والعمل في مجال السياسة الخارجية على الوصول بحدود إسرائيل إلى نطاق فلسطين عام 1922. وتنضم العناصر الأكثر تطرفاً داخل هذا الحزب إلى الأصوات الداعية لإقامة "إسرائيل الكبرى" من النيل إلى الفرات. وتتجلى الشوفينية والعنصرية أوضح ما تكونان في أيديولوجية هذا الحزب.

التطور الرجعي للأيديولوجية الصهيونية

عند مقارنة تطور التيارات الرئيسية في الصهيونية حتى الوقت الراهن، تجدر الإشارة إلى الاتجاه العام إلى الانحراف اليميني المتواصل للأيديولوجية السياسية للصهيونية في مجملها. ولقد سارت هذه العملية على نحو متواز مع اتساع النشاط الصهيوني المكرس لاستعمار فلسطين ثم ازدادت حدة خاصة بعد قيام دولة إسرائيل عام 1948. ولقد انعكست هذه العملية في الرسوخ المتواصل للأحزاب البرجوازية على صعيد السياسة الداخلية كما على صعيد الحركة الصهيونية العالمية. وتعاظم التأثير الذي تمارسه هذه الأحزاب على سياسة "الاشتراكيين" الصهاينة. هذا علاوة على أن نشاط "الاشتراكيين" الصهاينة قد اتسم باستمرار الاتساع في الهوة التي تفصل بين الشعارات الدعائية الزائفة حول "الإخلاص للمثل العليا للرواد" وبين السياسة العملية التي تساعد على نمو الاحتكارات الكبرى الخاضعة للرأسمال الدولي وعلى المزيد من استغلال الكادحين الإسرائيليين. فبدلاً من التعاون بين الطبقات "على إقامة الوطن القومي" قبل قيام إسرائيل، نشب بين السكان اليهود صراع طبقي متصاعد يتخذ في أحيان غير نادرة أشكالاً بالغة الحدة.

إن المجتمع اليهودي المتشكل في فلسطين قد أخذ منذ البداية يتطور على الطريق الرأسمالي من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وسرعان ما اتجهت حركة التعاونيات الزراعية (الكيبوتزات والمشاعات) إلى الدوران في فلك السوق الرأسمالية الخاصة. وهذه العملية قد واكبها في المدن نمو سريع للمشروعات الخاصة التي تمخضت عن برجوازية محلية كبيرة وثيقة الارتباط بالرأسمال العالمي.

وبطبيعة الحال، كان الكادحون يشكلون الغالبية العظمى من المهاجرين اليهود. ذلك أن اليهود الأثرياء لم يبدوا في أي وقت رغبة شديدة في الرحيل إلى "أرض الأجداد". ومن هنا فإن الكادحين اليهود المهاجرين هم الذين حملوا على كاهلهم العبء الثقيل في سبيل تأسيس الدولة التي وضع القوميون البرجوازيون مخططها. ولقد كان الزعماء الصهاينة يحتاجون لتحقيق أغراضهم الأنانية الخاصة إلى إحراز مواقع قوية بين منظمات الكادحين. ونتيجة لذلك، فقبل قيام إسرائيل كانت الأحزاب "العمالية" قد أحرزت الوزن السياسي الأعظم وسط السكان اليهود. وهذه الأحزاب وأكثرها نفوذاً "ماباى" ــ قد استحقت بجدارة لقب العمالة للبرجوازية داخل الحركة العمالية.

فالأحزاب "العمالية" هي بالذات التي روجت أساساً أفكار القومية البرجوازية وسط الكادحين اليهود: العمال والموظفين والمثقفين. لذلك فلا غرابة أن البرنامج الاشتراكي ـ الاصلاحي لحزب "ماباى" قد حظي بالتأييد المباشر وغير المباشر من جانب الأحزاب الدينية والبرجوازية الصهيونية.

إن البرنامج الاقتصادي الاجتماعي والعبارات الاشتراكية الزائفة للأحزاب "العمالية" قد ساعدت في السيطرة على الحركة النقابية، والتقت مع الأهداف الأساسية للصهيونية الرامية إلى تعزيز الدولة اليهودية الصرف. ومن هنا نجد أن الأحزاب "العمالية"، وفي مقدمتها حزب "ماباى" الذي تبوأ ممثلوه رئاسة الحكومة بصفة دائمة منذ قامت دولة إسرائيل، قد سعت إلى الحصول على التأييد الأشد من جانب الأحزاب الدينية والبرجوازية عن طريق اتباع سياسة توسعية موالية للإمبريالية فيما يتعلق بالدول العربية المجاورة.

مع تطور الصهيونية تتزايد الشوفينية المحمومة التي تشكل دائماً العمود الفقري للصهيونية والتي بلغت اليوم قمتها. ولقد كشفت الشوفينية المسعورة عن اللامبدئية والجوهر الذيلي لبرامج مختلف التيارات الصهيونية. وهي التي حكمت مسبقاً بالبلاء على الأيديولوجية السياسية للصهيونية في مجملها وعلى

تعارض شعاراتها الاشتراكية ـــ الاصلاحية، والدينية، والبرجوازية البحتة، مع المصالح الحقيقية لغالبية سكان إسرائيل. ولقد أشار مثلاً بعض الباحثين البرجوازيين الإسرائيليين إلى سقوط الحركة "التعاونية" والكيبوتزية. ويقول الكاتب البرجوازي آريان أن "روح الرواد الاشتراكية التي كانت تتميز بها أيديولوجية حركة الكيبوتزات والتي كانت تتفق مع مهام البناء القومي قبيل وفي أعقاب قيام إسرائيل قد استعيض عنها بروح أكثر برجوازية". وقد أصبحت الكيبوتزات جزءاً لا يتجزأ من نظام الانتاج الرأسمالي المرتبط بالسوق. ولقد ظل الوزن النوعي للكيبوتزات تافهاً بالنسبة للاقتصاد القومي وهو لا يتجاوز 5٪ من جملة المنتوج القومي. وتحصل الكيبوتزات في ظل هذا الوضع على ما لا يقل عن 40٪ من الدخل من إنتاج السلع الصناعية. أما الكيبوتزات التي تقام في الأراضي العربية المحتلة فهي في جوهرها مستوطنات عسكرية.

بعد قيام دولة إسرائيل طرح الحزب الرئيسي "ماباى" مهام تطوير الاقتصاد "المختلط"، وتقديم المساعدات من جانب الدولة للقطاع الخاص. كما أعلن الحزب أنه يهدف إلى خلق "دولة الرخاء العام". وأصبحت الوسائل الأساسية لتحقيق هذا البرنامج تتمثل في التدخل الحكومي في اقتصاد واستثمارات القطاع

الخاص. وقد حظيت هذه السياسة بتأييد الأحزاب "العمالية" الأخرى، على الرغم من اختلاف صيغ البرامج السياسية. كذلك فإن النظرية الاصلاحية "لدولة الرخاء العام" تلقى الترحيب أيضاً من جانب الأحزاب الدينية، الليبراليين البرجوازيين، ولكن المتوقع من "دولة الرخاء العام" أن تكفل في هذه الحالة تطبيق التقاليد الدينية وإتاحة أفضل الفرص أمام مبادرات القطاع الخاص. ومن جانبهم فإن مفكري الصهيونية "الاشتراكية" لم يحدث قط أن أنكروا حرية الاستثمار الفردي أو حرية التملك الفردي. والأدبيات البرجوازية تفيد، على سبيل المثال، أنه لا يجوز التقسيم الدقيق للأحزاب الصهيونية على أساس الاتجاه "الاشتراكي" أو الرأسمالي.

إن الوضع الراهن في الشرق الأوسط يشهد على أن النزعة القومية الصهيونية قد دفعت بنفسها إلى مأزق.

إن إسرائيل تعد واحدة من الدول القليلة التي تطالب علناً بإعادة النظر في حدود تتمتع بالاعتراف الدولي. وتنطلق العقيدة السياسية الخارجية للدوائر الحاكمة الإسرائيلية من أن الدولة لابد أن تكافح في سبيل الحصول على الحدود لتي تتفق مع متطلباتها، ومن أن الحرب هي الوسيلة لتغيير الحدود، ومن أن التفوق العسكري وليس القانون الدولي هو الكفيل بصيانة

حرمة الحدود. والآن لا توجد في العالم كله دولة تعلن هذه المبادئ المتسمة بالقرصنة والمتعارضة مع القانون الدولي، كما تعلنها إسرائيل بهذا القدر من الوقاحة.

إن الصهيونية تعرقل نمو المجتمع الإسرائيلي ذاته. فمن المعروف أنه بعد إنشاء دولة إسرائيل ازداد بشكل بارز حجم الهجرة اليهودية من بلدان الشرق الأوسط وآسيا وإفريقيا. على أن اليهود الوافدين من آسيا وإفريقيا يتعرضون في إسرائيل للاضطهاد العنصري بوصفهم يهودا "من الدرجة الثانية". فالصهيونية عاجزة عن تحقيق التكامل للمجتمع الإسرائيلي على أسس ديمقراطية. وعلى ذلك فالقومية الصهيونية التي تصل إلى حد العنصرية، هي بالذات، التي تعرقل عملية تكوين الأمة الإسرائيلية. وإن الحياة نفسها لتدحض الخرافة التي يروجها الدعاة الصهاينة بأن إسرائيل هي النموذج لحل القضية القومية، والتحديث الاقتصادي والسياسي لبلدان العالم الثالث.

وفي ظروف عجز الدولة عن تحقيق النمو السريع والرخاء الاقتصادي والتطور الثقافي لليهود القادمين من بلدان نامية، تحاول الأحزاب الرجعية الدينية والبرجوازية استغلال الوعي المتخلف لهذه الفئات من أجل إحراز النفوذ السياسي.

إن عجز الصهيونية عن تحقيق الدمج الديمقراطي لمختلف فئات المهاجرين، يقترن بالقلق المتزايد لدى الصهاينة على اختلاف تياراتهم من زيادة سرعة اندماج اليهود في شتى أنحاء العالم. وهذه العملية إنما تعني إفلاس الفكرة الصهيونية المتعلقة بترحيل جميع اليهود إلى "بلاد الأجداد". علاوة على ذلك فإن عملية تشكيل أمة إسرائيلية خاصة تؤدي إلى إدراك الإسرائيليين تدريجياً بأن لهم مصالحهم القومية الخاصة بالنسبة ليهود البلدان الأخرى. ويشير الباحث السوفييتي إيفانوف، محقاً، إلى أن الصهاينة لا يحتاجون إلى الأمة الإسرائيلية الموحدة التي "تعبر الآن، ومنذ البداية الباكرة لنشوئها، عن مظاهر اللامبالاة بالصهيونية". وإن الفروق البارزة بين الأمة الإسرائيلية الناشئة وبين اليهود من مواطني البلدان الأخرى في العالم لتشهد مرة أخرى على زيف الادعاء الصهيوني الرئيسي بوجود "أمة يهودية واحدة".

وسعياً وراء تحديث أيديولوجيتها والخروج من الأزمة الناشبة تبذل الصهيونية المعاصرة جهوداً يائسة في شتى الاتجاهات. فالآن لم يعد يخفى على عتاة الصهاينة المكابرين مدى طوباوية مخطط تجميع يهود كافة بلدان العالم داخل إسرائيل. والإدراك لهذه الحقيقة يسفر عن نشوء تيار صهيوني آخر يعرف

"بالصهيونية الجديدة"، التي تستهدف ـ بشتى الوسائل ـ عرقلة عملية اندماج اليهود في جميع البلدان، وربطهم بإسرائيل وتحويلهم إلى عملاء للدوائر الإسرائيلية الحاكمة. ويؤكد جولدمان، وهو أحد أقطاب الصهيونية الحديثة، بأن إنشاء الدولة اليهودية لا يعتبر الهدف النهائي للصهيونية. وهو يحاول صياغة طابع "جديد مبدئياً" لدولة إسرائيل التي تختلف عن سائر الدول بأنها ليست فقط مستقلة من الناحية الشكلية، إنما لابد أن تكون مركزاً روحياً دينياً معنوياً ليهود العالم أجمع، لكي يعتبر هؤلاء أنفسهم بمثابة "الشركاء الصغار" لإسرائيل.

وهكذا تنتشر داخل الحركة الصهيونية مرة أخرى الدعوة إلى أفكار الصهيونية "الروحية ـ الثقافية" التي تراجعت في حين ما إلى المرتبة الثانية تحت ضغط الصهيونية "السياسية". ولكن المرحلة الراهنة في تطور الحركة الصهيونية تتميز بالاتساع الحاد لنشاط المنظمات المتطرفة الشديدة اليمينية سواء في داخل إسرائيل أم في مختلف بلدان العالم. والنقطة الأساسية في برامج هذه المنظمات هي العداء المسعور للشيوعية والاتحاد السوفييتي لأن الصهاينة يفهمون أن مبادئ النظام الاشتراكي هي بالذات التي تكفل الحل الديمقراطي الحقيقي "للمسألة اليهودية" التي امتدت عبر القرون.

إن قطاعات متزايدة من الرأي العام الإسرائيلي، والعديد من المنظمات اليهودية خارج إسرائيل، تعي خطورة السياسة الصهيونية وآفاقها المسدودة. وهنا أيضاً تظهر أزمة الأيديولوجية الصهيونية. وفي الصراع ضد الصهيونية يظهر الحزب الشيوعي الإسرائيلي كفصيلة طليعية تشير إلى أنه لا يجوز الجمع بين الصهيونية والشعب الإسرائيلي، وأن مستقبل إسرائيل يكمن في إزاحة الصهيونية من كل الحياة السياسية للبلاد وإشاعة الديمقراطية فيها على طريق النضال المشترك مع الشعوب العربية ضد الإمبريالية.

مجلة "الدولة السوفييتية والحقوق"، عام 1973، العدد 10.

الصهيونية أداة الإمبريالية

بقلم نيكيتينا

1

إن أيديولوجيا الصهيونية المعاصرة وتطبيقها السياسي لتؤكدان تماماً صحة تقييم لينين لها كأيديولوجيا قومية متعصبة وموالية للإمبريالية ومعادية لمصالح الكادحين، ومكرسة منذ نشأتها لخدمة الإمبريالية.

وفي نضاله ضد الانتهازيين والمحرفين في الحركة العمالية فضح لينين الصهيونية كمفهوم شوفيني عن العالم للبرجوازية اليهودية الكبرى والاحتكارية، وأوضح لينين انطلاقاً من مواقف طبقية نشأة وجوهر هذا المفهوم. ويسمح التحليل الذي أعطاه لينين بالحكم على تطور الأيديولوجيا والسياسة الصهيونيتين.

وشن لينين والبلاشفة نضالاً حاسماً ضد حزب البوند، الذي كان يتخذ مواقف صهيونية. وحزب البوند الذي سمى نفسه

بالحزب الاشتراكي الديمقراطي اليهودي تقدم ببرنامج سياسي، برنامج "استقلال الثقافة القومية الذاتي" لليهود الهادف إلى شق البروليتاريا الروسية. وقد كتب لينين، وهو يقف ضد مساعي البوند: "أيمكن أن نفسر بالصدفة وحدها الواقع التالي وهو أن القوى الرجعية بالضبط في كل أوروبا ولاسيما روسيا تتحالف ضد اندماج اليهود وتحاول تثبيت عزلتهم؟"

ورفض لينين بكل حسم شعار البوند عن "الثقافة القومية اليهودية" الخاصة، وذلك لأن هذا الشعار من شأنه أن يؤدي إلى انعزال البروليتاريا اليهودية التي أراد الصهاينة أن تعمل بمعزل عن عمال شعوب روسيا الأخرى لكي تبنى بالاشتراك مع الحاخامات والبرجوازيين "ثقافة قومية" فوق طبقية.

وكان لينين خصماً ثابتاً ولدوداً "لمذابح اليهود" وملاحقتهم، وناضل بحسم ضد العداء للسامية بكل أشكاله وأنواعه، وبين للبروليتاريا اليهودية الطريق الصحيح الوحيد إلى مستقبل أفضل، وهو طريق النضال جنباً إلى جنب مع جميع الكادحين في روسيا ضد مستغليهم.

ولعب النقد الذي وجهه لينين ضد الجوهر الاجتماعي والطبقي للصهيونية دوراً هاماً في انتصار المبادئ الأممية لثورة

أكتوبر. وهذا النقد يعد جزءاً لا يتجزأ من التعاليم اللينينية عن الأممية البروليتارية الاشتراكية.

2

تتلخص الفكرة الأساسية للصهيونية في أنه توجد "أمة يهودية عالمية". وتعتمد وجهة النظر هذه على موضوعة كاذبة ملخصها أن العداء للسامية "خالد" وكان له وجود في جميع الأزمنة وجميع التكوينات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة. و"المشكلة اليهودية" تبعاً لرأي الصهاينة شيء خارج التاريخ وغير متغير. وهكذا فالاستنتاج الختامي واضح كل الوضوح ويتلخّص في أنه لا يمكن حل "المشكلة اليهودية" إلا بإنشاء دولة يهودية أي بالحصول على أرض وإنهاء تشتت اليهود.

وكان هرتزل، وهو أحد مؤسسي الصهيونية يؤكد أن "الشعوب التي يعيش بينها اليهود تعادي جميعها السامية بشكل سافر أو خفي". ومن هنا يلجأ الصهاينة إلى تأكيد الفكرة الرجعية الخاصة "بالتضامن الطبقي بين اليهود" والفكرة العنصرية المتعلقة بتفرد اليهود واستثنائية وضعهم. ففي عام 1904 أكد الصهيوني كرتسمر أن تفوق اليهود الروحي والمعنوي على جميع الشعوب المحيطة شيء "جلي للعين تماماً". وفي منتصف الستينات أعلن الصهيوني رودى عن وجود "الجوهر اليهودي

الخاص" والسمة الخاصة وفوق التاريخية "لليهودية". والصهاينة في واقع الأمر بمحاولتهم تربية اليهود على الاعتقاد بالتفوق ووضعهم في مقابل الشعوب الأخرى، يشجعون بذلك العداء للسامية، لأنهم يحتاجون إلى تسعير شعور العداء للسامية لكي يحققوا أغراضهم.

لقد نوه لينين في كشفه للادعاءات الصهيونية عن خلق "أمة يهودية" مصطنعة بأن العداء للسامية له طبيعة اجتماعية ويعد أحد صور التفرقة العنصرية والقومية ويرتبط بالنظام الاستغلالي.

ولا يمكن تصفية العداء للسامية وقاعدته الاجتماعية إلا بعد القضاء على الاضطهاد الطبقي والقومي في ظروف انتصار النظام الاجتماعي الاشتراكي.

وينشر الصهاينة الإشاعات الهرائية عن العداء للسامية في الاتحاد السوفييتي. ولكن الوقائع الحقيقية للتاريخ تفند تماماً هذا الكذب. فحتى قبل ثورة أكتوبر طالب حزب البلاشفة بالمساواة التامة في الحقوق بين جميع القوميات في روسيا وناضل بحسم ضد العداء للسامية. وفي عام 1914 وضع لينين "مشروع قانون لإلغاء جميع القيود على حقوق اليهود على العموم وجميع القيود المرتبطة بالأصل أو الانتماء إلى أي قومية كانت".

ونتيجة لثورة أكتوبر حصلت جميع الأقليات القومية في روسيا على حريتها وفي 25 يوليو (تموز) عام 1918 اتخذ أول قانون في العالم لتحريم العداء للسامية ونص هذا القانون على عدم السماح بملاحقة أية قومية كانت.

وأصبحت الجمهورية السوفيتية الفتية أول دولة في العالم تعتبر العداء لليهود، شأنه شأن العداء لأي شعب آخر جريمة عظمى. وكتب لينين على نص وثيقة مجلس مفوضي الشعب بشأن النضال ضد العداء للسامية في 26 يوليو عام 1918: "يأمر مجلس مفوضي الشعب جميع سوفييتات النواب باتخاذ إجراءات حاسمة للقضاء على حركة العداء للسامية ويعتبر كل من يدبر الاعتداء على اليهود أو يدعو إلى ذلك شخصاً خارجاً عن القانون".

ويختلق القادة الصهاينة الأخبار الكاذبة من كل شكل وطراز عن وجود ملاحقة لليهود في الاتحاد السوفييتي. ولكن العالم أجمع يعلم أن النظام السوفييتي بطبيعته نفسها يُصفّي الأرضية الاجتماعية للعداء للسامية ويستبعد كل إمكانية لممارسة سياسة العداء للسامية وينبذ بحسم أية أغراض للنفور القومي. أما حماة الصهاينة الإمبرياليون فإنهم يلجأون بشكل

واسع النطاق إلى الدعاية المعادية للسامية وإلى ملاحقة اليهود وتعريضهم للتفرقة العنصرية.

وما زالت كلمات لينين التي قالها عام 1919 في خطابه "عن مذابح اليهود وملاحقتهم" تنطبق تماماً عليهم. فقد جاء في خطابه: "إن العداء لليهود لا يجد الأساس المتين إلا حيث أدى الاستعباد الذي يمارسه الإقطاعيون والرأسماليون إلى الجهل المظلم بين العمال والفلاحين. فلا أحد يستطيع أن يصدق الأكاذيب والافتراءات ضد اليهود إلا الأشخاص الجهلاء تماماً والمستعبدون تماماً".

واليوم يؤمن جميع الشرفاء وغير المتحيزين أن السياسة القومية للدولة السوفيتية أدت إلى المساواة التامة في الحقوق بين اليهود وبين جميع شعوب الاتحاد السوفييتي الأخرى وإلى تصفية "المشكلة اليهودية" المزعومة في الاتحاد السوفييتي.

لقد أزيح اللثام تماماً عن الطبيعة الطبقية للصهيونية في الوقت الحاضر، الذي يسعى فيه تحالف الإمبريالية الأمريكية مع الصهيونية العالمية إلى إضعاف حركة التحرر الوطني في العالم العربي.

وكان التحالف الأمريكي الإسرائيلي قوة دائمة في جميع مراحل هجوم الإمبريالية على حركة التحرر الوطني في البلدان

العربيــة. وازداد هــذا التحــالف قــوة مــع تضــاؤل قــوة مواقــع المستعمرين بالعالم العربي.

وتطالب الصهيونية العالمية بإجراء مراقبة غير محدودة على جميع الطوائف اليهودية بكل أرجاء العالم وعزل هذه الطوائف على هيئة "مجموعات يهودية خاصة". إن زيادة حدة العداء للسامية يعد أمراً ملائماً لمصالح الصهاينة وذلك لأن هذا العداء يساعد على توسيع صفوف الصهاينة وتلاحمها.

ويهتم الصهاينة اهتماماً خاصاً بتعزيز قوة إسرائيل كدولة "ذات سيادة استثنائية" ويطالبون بالاعتراف بحق إسرائيل في القيام "بمهمة دولية" خاصة أي أنهم يطالبون بإكساب أعمال التخريب التي تقوم بها الصهيونية في البلدان الأخرى شكلاً قانونياً. وهم يصرون على "الانعزال الذاتي" لليهود بغرض تحويل الطوائف اليهودية إلى "طوابير خامسة" منتشرة في كل أنحاء العالم وذات "جنسية مزدوجة"، وساعية إلى شن الأعمال التخريبية ضد الدول الاشتراكية والبلدان العربية والشعوب الأفريقية.

لقد تحولت الصهيونية العالمية إلى عدو نشط لجميع الحركات التحررية وللقوى التقدمية، ووصلت أصابعها إلى مختلف بلدان العالم على هيئة عدد لا يحصى من المنظمات

الصهيونية. أما هذه المنظمات فهي عبارة عن قنوات تمر خلالها "التبرعات الطوعية" الضخمة إلى إسرائيل.

ويسعى الصهاينة إلى استبدال صراع الطبقات بصراع القوميات محرضين الشعوب بعضها ضد البعض. وهم يحاولون عن قصد تصوير العداء للصهيونية أي الوقوف ضد الأعمال التخريبية التي يقوم بها الصهاينة والتوسعية الإسرائيلية على أنه عداء للسامية أي عداء لليهود وعلى أنه عداء لإسرائيل أي المطالبة بتصفية دولة إسرائيل. وما كل هذا إلا برنامج معد بعناية دبره عملاء الرأسمال الاحتكاري والرجعية العالمية الإمبريالية.

فما هو إذن المظهر الواقعي لتحالف الصهيونية العالمية (بالاشتراك مع صهاينة إسرائيل) والإمبريالية العالمية، وما هي الأهداف السياسية التي يسعى إليها؟

لقد تم إقرار برنامج جديد بمجلس المنظمة الصهيونية العالمية المنعقد في القدس في يونيو (حزيران) 1968. واشتمل هذا البرنامج على المهام الآتية: اتحاد الشعب اليهودي، جمع اليهود في "وطنهم التاريخي" تعزيز دولة إسرائيل، الحفاظ على أصالة وعزلة اليهود، نشر "الثقافة اليهودية".

وتجري زيادة النشاط الصهيوني العالمي على أساس مادي غاية في المتانة. ففي كل عام (ابتداء من أغسطس ـ آب ـ عام 1967) تنظم اجتماعات للرأسماليين من ذوي الأصل اليهودي المقيمين بمختلف بلدان العالم والذين تتركز في أيديهم رؤوس أموال تبلغ العديد من المليارات. لقد أقيم ما يشبه بالكوندومينيوم الدولي من الصهاينة أصحاب المليارات وهو يمتلك موارد ضخمة وبالتالي إمكانيات ضخمة ابتداء من شراء أجهزة المخابرات الإمبريالية حتى تمويل عملاء الصهيونية في جميع بلدان الغرب.

وتجري اجتماعات رجال المال الصهاينة تحت شعار: أقصى تأييد لإسرائيل "المدافعة والجاري توحيدها".

إن "تهويد" الجيل الجديد وكذلك جميع اليهود في كل مكان يعد واحدة من أهم المهام الأيديولوجية للصهيونية، ويتوقع الصهاينة تحقيق هذا الهدف بتعزيز ما يسمى بالوعي الذاتي اليهودي لدى كل يهودي. ولقد عرضت التوضيحات الآتية بالمؤتمر الأيديولوجي الذي عقده الصهاينة في أغسطس (آب) عام 1970. يبدو أن العداء للسامية يشتد مرة أخرى ـ كما يزعم الصهاينة ـ ويظهر الشعور المعادي لليهود على هيئة عداء للصهيونية. أما في البلدان ذات "النظام الشيوعي" فإن سياسة

التفرقة العنصرية ضد اليهود تصبح سياسة رسمية ــ هكذا يزعم المفترون الصهاينة. كذلك يقلق الصهاينة الواقع التالي وهو أن الاندماج العرقي لليهود في جميع الدول لا يتضاءل بل على النقيض من ذلك يتزايد بصفة مستمرة.

إن "التهويد" يعني في واقع الأمر تحويل الجماهير اليهودية إلى أداة طيعة في يد القادة الصهاينة الذين ينشرون أفكار انعزال اليهود ويضعون اليهود في مقابلة الشعوب الأخرى التي يعيشون بينها. إلا أن هذا النوع من الجهد لا يأتي دائماً بالنتيجة المرجوة. فالصهاينة يتعين عليهم أن يعترفوا، ولو اضطروا، بأن الشباب اليهودي ما زال بعيداً عن الصهيونية.

لهذا السبب بالذات يلجأ الصهاينة للتضليل السياسي. فهم يصورون أي عمل ضد نشاطهم وضد الجوهر الرجعي لأيديولوجيتهم وسياسة الصهيونية بأنه نمط من أنماط العداء للسامية.

وإليكم، على سبيل المثال، بعض الاستنتاجات النظرية التي قدمتها صحيفة "جوروزاليم بوست". "إن العلاقات التقليدية تجاه اليهود (والمقصود هنا هو العداء للسامية ــ مؤلفة المقال) تنعكس ــ تبعاً لما تزعمه الصحيفة ــ في المواقف المعادية لإسرائيل" وللصهيونية بالطبع. وبهذه الطريقة اتهم بالعداء

للسامية الصحفي الكندي أورتنج لا لشيء إلا لأنه لم يلاحظ أي مظهر من مظاهر للتفرقة لليهود في الاتحاد السوفييتي أثناء وجوده في موسكو.

ويفضح الحزب الشيوعي الإسرائيلي المخلص للوصايا اللينينية سياسة الصهاينة بشجاعة ومن مواقع الأممية. لقد استنكر الحزب الشيوعي الإسرائيلي العدوان الذي دبره حكام إسرائيل ضد البلدان العربية وهو ينادي بتنفيذ قرار مجلس الأمن الصادر بتاريخ 22 نوفمبر (تشرين الثاني) عام 1967 بلا قيد أو شرط. كذلك يطالب الحزب الشيوعي الإسرائيلي بإشاعة الديموقراطية في البلد وإبعاد القيادة الصهيونية الرجعية عن السلطة. ويؤكد الحزب الشيوعي الإسرائيلي أنه "لا يجب الخلط بين الصهيونية والشعب الإسرائيلي" معتبراً أن مستقبل إسرائيل هو تخليص كل الحياة السياسية من الصهيونية وإشاعة الديموقراطية فيها والسير على طريق النضال المشترك مع الشعوب العربية ضد الإمبريالية.

مجلة "آسيا وإفريقيا اليوم" العدد 8، 1971.

صهيونية عادية

بقلم كوروف

مثل اللص والدركي

عندما يحلل الإنسان نظرية وتطبيق الصهيونية يصطدم في كل خطوة مع التناقضات الظاهرية. ويجد الإنسان في نهاية الأمر عددها كبيراً لدرجة أنه يبدأ في تقبلها تدريجياً على أنها نظام محسوب وعلى أنها **الطريقة ذاتها** التي تلجأ إليها الدعاية الصهيونية والأعمال الصهيونية.

وبالتناقضات الظاهرية بدأ تيودور هرتزل الذي يعتبر الأب الروحي للصهيونية المعاصرة. فهو بالذات الذي سمى العداء للسامية... "حركة مفيدة لتطور الشخصية اليهودية".

والتناقض لا يكمن هنا في هذا التأكيد بحد ذاته. ولكن التناقض يكمن في أن هرتزل صاغ هذا المبدأ الأساسي للصهيونية بعد "قضية دريفوس" الشهيرة بوقت قصير أي بعد أن

حصل العداء للسامية على أول ضربة ساحقة بفضل تحركات التقدميين الفرنسيين والروس والبولونيين وغيرهم من ممثلي الأمم الأخرى بحسم وبسالة.

ولم يغتبط مؤسس الصهيونية على الإطلاق لهذا الحدث. بل على النقيض من ذلك فقد كتب في مذكراته: "لقد أصبحت في باريس أنظر بشكل أوسع إلى العداء للسامية الذي أبدأ الآن في تفهمه من وجهة النظر التاريخية وأصفح عنه. والأكثر من ذلك أني أعترف بعدم جدوى وبطلان النضال ضد العداء للسامية".

وهكذا بدأ هرتزل "يصفح عن" العداء للسامية ويعتبر أن النضال ضده "عديم الجدوى" في حين لم يكن فيه نية أشخاص العصر التقدميين أن يصفحوا عن العداء للسامية وأثبتوا فيه لأول مرة أن هذا النضال ليس عديم الجدوى على الإطلاق.

إذن ما الأمر؟ ومن أين تنبثق هذه اللامنطقية الصارخة؟

والجواب على هذا السؤال له طابع مبدئي. كما أنه سيكون في حقيقة الأمر جواباً على التساؤل عن سبب وجود الصهاينة على امتداد كل تاريخ نشاطهم في صفوف المعادين للسامية ـ ولا يزالون الآن ـ مهما بدا في هذا من تناقض ظاهري.

حقيقة الأمر أن هرتزل وضع في أساس الأيديولوجيا الصهيونية أمراً مسلماً به مؤداه أن اليهود هم "شعب الله المختار"

وعن "استثنائية" المصير التاريخي لليهود. وتبعاً لآراء هرتزل تنقسم الإنسانية إلى يهود وغير يهود منذ قديم الزمان. وأمام هذا التقسيم اللاإنساني تزول الطبقات والاقتصاد والسياسة والتقدم العلمي والثقافي. واليهود بغض النظر عن الطبقة التي ينتمون إليها وبغض النظر عن فقرهم أو ثرائهم أو تمتعهم بالمواهب أو العيوب ـ هم في نهاية المطاف دائماً يهود وأمام هذه الحقيقة يتراجع كل شيء إلى المقام الثاني، وخاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن غير اليهود هم أشخاص "معادون أبد الدهر للسامية" بغض النظر أيضاً عن انتمائهم الطبقي أو آرائهم السياسية.

ولم يجد هرتزل وأتباعه أية غضاضة في أن مثل هذا النمط من التفكير من شأنه أن ينقل بشكل ميكانيكي إلى مرتبة المعادين للسامية أشخاصاً مثل أميل زولا ببيانه الشهير "إني اتهم".

لا، لم يجدوا غضاضة في هذا وإن وجدوا فمن وجهة نظر أخرى، أي من وجهة نظر خوفهم أن تؤدي مثل هذه البيانات إلى إلحاق الضرر "بالفكرة الصهيونية". وذلك لأن (وهذا تناقض ظاهري آخر للصهيونية!) الصهاينة ينظرون إلى كل هزيمة للعداء للسامية على أنها هزيمة لهم أنفسهم وعلى أنها انهيار الفكرة التي سماها لينين أساطير الصهاينة عن خلود العداء للسامية.

وهكذا اعتمدت الصهيونية في أساسها على أولية أسس عنصرية وليست اجتماعية اقتصادية. ولهذا السبب بالذات فإن اللينينيين الذين يبنون تعاليمهم على أساس علمي ماركسي بحت وصفوا منذ بداية الأمر الفكرة الصهيونية بأنها فكرة زائفة من أساسها ورجعية في جوهرها.

ولننتقل الآن لحظة إلى وقتنا الراهن لنتعرف على الأقوال التالية: "أنا لا أخجل من أن أعترف بأنه لو كانت سلطتي تعادل رغباتي لاخترت... عدداً من الشباب المخلص لقضيتنا... وأمرتهم بالتنكر والتظاهر بأنهم من غير اليهود وملاحقة اليهود بطرق العداء للسامية الفظة... عند ذلك ستفوق نتائج الهجرة إلى إسرائيل بعشرة آلاف مرة تلك النتائج التي يحصل عليها مبعوثونا الذين يلقون منذ عشرات السنين مواعظهم أمام الصم".

إن هذه الأقوال البالغة الوضوح والعربدة ترجع إلى بن جوريون وهو أحد الأتباع المعاصرين لهرتزل وأول رئيس وزراء لدولة إسرائيل. وهي تكشف بكل جلاء جوهر الصهيونية كحركة أقل ما يهمها هو مصير اليهود وكحركة متلاصقة مع العداء للسامية. وفي هذا الصدد يشير الصحفي الفرنسي بيير دمرون إلى أن "الصهيونية والعداء للسامية يوجدان في علاقة متبادلة أشبه بالعلاقة بين الدركي واللص".

ولنقارن الآن بين الأهداف النهائية للصهيونية والعداء للسامية. فالصهاينة منذ أيام هرتزل يحاولون أن يثبتوا أنه من الضروري النظر إلى اليهود أينما وجدوا على أنهم أمة خاصة يجب "تجميعها" من بلدان العالم المختلفة وإسكانها في منطقة منفردة، أما المناهضون للسامية فينادون أيضاً بالنظر إلى اليهود على أنهم "أمة خاصة" وعلى أنهم "عناصر دخيلة" على سكان البلدان التي يعيشون فيها. وهم أيضاً يعتبرون أن اليهود يجب أن يطردوا من هذه البلدان أو أن "يزاحوا عنها" بأية وسائل أخرى.

وقد أثار هذا الموقف من "المشكلة اليهودية" سخطاً طبيعياً لدى الملايين من الجماهير اليهودية. فهذا الطريق لا يلائم على الاطلاق اليهود الكادحين واليهود الديمقراطيين من المثقفين بغض النظر عن الداعي لهذا الطريق سواء كانوا من الصهاينة أو المناهضين للسامية. فالخبرة التاريخية أظهرت لهم أن الأساس الأصيل لحل المشكلة لا يكمن في الانعزال الذاتي المعلل "بالاستثنائية" الصوفية لليهود "وباختيار الله" لشعب اليهود بل يكمن في التساوي في الحقوق الاقتصادية والسياسية مع جميع سكان البلدان التي يعيشون فيها.

في مستهل قرننا هذا شرع الحزب الاشتراكي الديمقراطي في روسيا بزعامة البروليتاريا الروسية يسير في هذا الطريق

بالذات. وفي هذا الوقت بالذات، وقت العواصف الثورية المتعاظمة ظهر ذلك الحقد الحاد الذي يكنه الصهاينة لحزب الشيوعيين وللاشتراكية والذي تحول الآن إلى هستيريا حقيقية. وأعلن الصهاينة أن الكثيرين من الثوريين ذوي الأصل اليهودي الذين شاركوا مع شعوب روسيا الأخرى بشكل فعال في إعداد وتحقيق ثورة أكتوبر هم "أعداء ألداء"... ومناهضون للسامية.

وأصبح الصهاينة ينظرون إلى الماركسية اللينينية بجوهرها الأممي نفسه على أنها "العدو رقم واحد". وحتى يومنا هذا ما زال أرشيف الدولة لثورة أكتوبر يحتفظ بوثيقة أصلية للصهاينة مؤرخة في عام 1898(!) وجاء في هذه الوثيقة: "أن الاشتراكية عدو لدود لليهود وللفكرة القومية اليهودية".

فهل يوجد في كراهية الصهاينة للشيوعية وللشيوعيين شيء استثنائي ينفردون به وحدهم فقط؟ لعله لا: فإن جميع القوميين البرجوازيين الذين يرون في أممية اللينينيين تهديداً مميتاً لمساعيهم القومية المتعصبة قد كرهوا وما زالوا يكرهون تعاليم الماركسية اللينينة كرها لا يقل عن كراهية الصهاينة لها.

وأدى انتصار ثورة أكتوبر في روسيا ونجاح الحركة الثورية والشيوعية في أوروبا إلى أن الصهيونية أصبحت تفقد الأرض من تحت قدميها. وفقدت الصهيونية هيبتها أكثر فأكثر في أعين

الجزء اليهودي من سكان مختلف بلدان العالم. ولم تجد المنظمة الصهيونية العالمية التي أنشأها هرتزل أي تأييد من الجماهير الشعبية اليهودية الواسعة بالرغم من أنها كانت تملك فروعاً في عشرات الدول. وتسترعي الانتباه الحقيقة التالية: على امتداد 25 عاماً ابتداء من 1901 حتى 1925 بلغ عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين 76 ألف شخص فقط بالرغم من كل نداءات الصهاينة. وللمقارنة أقول إن عدد اليهود المهاجرين إلى الولايات المتحدة خلال نفس الفترة بلغ 1703 آلاف يهودي، وبالطبع لم يكن هؤلاء اليهود يسترشدون بآراء الصهيونية عند ذلك بل بآراء اجتماعية اقتصادية.

وبدا أن أفكار الصهيونية مقضى عليها بالموت البطيء... ولكن في تلك الآونة قدمت الفاشية للصهيونية عوناً لا يقدر بثمن، الفاشية ذات الأيديولوجيا العنصرية الواضحة (مثل الصهيونية). وأدى استيلاء هتلر على السلطة وما صاحب ذلك من مذابح يهودية ودعاية واسعة معادية للسامية إلى بعث الصهيونية. وبعد مرور أعوام كثيرة منذ ذلك الحين كتبت مجلة "شبيجل" الألمانية الغربية (في ديسمبر ــ كانون الأول ــ عام 1966) تعلل هذا التناقض الظاهري الصهيوني الدوري قائلة:

"أدى انتصار الألمان المعادين للسامية إلى بعث بهجة غير عادية في نفوس الصهاينة. فقد رأوا فوراً في هذا الانتصار هزيمة ليهود الغرب المثقفين الذين لم يكترثوا إطلاقاً بالصهيونية وفضلوا التطور بين الشعوب الأخرى. وبما أن النازيين والصهاينة رفعوا العنصر والجنسية فوق كل شيء فقد كان من المحتم أن ينشأ بينهم جسر مشترك".

ولقد نشأ هذا الجسر. نشأ على أوتاد فظيعة من 6 ملايين يهودي معذب ومقتول برصاص الفاشيين.

المشاركة في القتل

حتى وقتنا هذا يجوس العملاء الصهاينة بكل أنحاء العالم لكي يجمعوا ويقضوا على الوثائق التي تدل على تعاونهم الإجرامي مع الهتلريين. وأمكنهم بالفعل جعل العديد من هذه الوثائق والشهادات "غير مضرة". إلا أن بعض هذه الوثائق ما زال موجوداً وهي من آن لآخر تقلق الرأي العام بالرغم من أن الصحافة الإمبريالية التي يسيطر عليها الصهاينة تحاول بكل الوسائل الممكنة التزام الصمت إزاءها وإخفاءها. وإليكم جزء محدود من الحقائق التي لا جدال فيها والتي أصبحت معروفة.

... بعد وصول هتلر إلى السلطة دعا جرينج قادة الصهاينة وطلب منهم "دحض" الأنباء عن مذابح اليهود في ألمانيا. ونفذ حماة "شعب الله المختار" هذا المطلب بكل رضاء. ولم يكن هذا في مكان ما في سجون الجستابو وتحت تأثير التعذيب أو فوهة المسدس بل في ظروف آمنة تماماً ــ في لندن وبراغ حيث قدموا لتنفيذ "مهمتهم الحساسة". ولم يشنوا حملة احتجاج ضد الأعمال الوحشية الهتلرية المعادية للسامية ولم يدقوا ناقوس الخطر بالرغم من أن آلاف اليهود كانوا قد لاقوا حتفهم بلا رحمة وأن آلافاً أخرى استعدت للموت البطيء في المعتقلات.

...ووفقاً لشهادة الصحفي الإسرائيلي أوري أفنيري "لم تفعل القيادة الصهيونية في زمن الحرب أي شيء تقريباً لإنقاذ اليهود في أوروبا المحتلة من الإبادة".

... وقد ساعد قائد المخابرات الهتلرية "لشؤون اليهود"، فون ميلدونشتين، نشاط المنظمات الصهيونية الرامي إلى إنشاء "معسكرات إعادة التربية" التي كان الشباب اليهودي يعد فيها للاستخدام التالي في فلسطين. وقد كان العميل رايهرت وهو من مكتب المعلومات الألماني بفلسطين على اتصال مستمر مع أحد الشخصيات القيادية لمنظمة صهيونية سرية.

... واعترف حاييم لنداو عضو الكنست الإسرائيلي لصحيفة "معاريف" أن "الوكالة اليهودية كانت تعلم عن إبادة اليهود عام 1942. هذه حقيقة. وبالرغم من أن أبعاد هذه الإبادة لم تكن معلومة، إلا أن حقيقة الإبادة ذاتها كانت معروفة لقيادة الوكالة اليهودية وللأوساط اليهودية بالولايات المتحدة. وتتلخص الحقيقة في أنهم لم يلزموا الصمت فحسب بل وصمتوا عمداً وأخفوا ما يعلمونه".

... ويروي جون ودافيد كيمرشي في كتاب "الطرق السرية" عن تعاون ليفي أشكول رئيس الوزراء السابق لإسرائيل مع الهتلريين. فهو، كما اتضح، كان يعمل في حينه ببرلين في ما يسمى بالقطاع الزراعي "لمكتب فلسطين" بالرايخ الهتلري.

.. وقد أجبر كاستنر الرئيس السابق للجنة الصهيونية الخاصة "بإنقاذ اليهود المجريين" تحت ضغط الحقائق على أن يعترف بأنه كان على علاقة مباشرة مع القادة النازيين الذين أبادوا نصف مليون يهودي مجري. وكان كاستنر يعلم سلفا عن خطط الإبادة ولكنه التزم الصمت حسب زعمه لإنقاذ حياة بعض "الأعضاء الصهاينة النشطين" (حوالي مئة شخص في مقابل 500 ألف يهودي تمت إبادتهم)....

وبعد التعرف على هذه الحقائق يبدأ الإنسان في تفهم لماذا وصفت الصحفية الإسرائيلية هانا أردنت موقف جلاد اليهود إيخمان من "المشكلة اليهودية" بالطريقة التالية: "لقد كان يحتقر اليهود المخلطين، وكان اليهود الأرثوذوكس يثيرون فيه الضجر، أما الصهاينة فقد أحبهم ايخمان لأنهم كانوا "مثاليين مثله".

وكان حاييم وايزمان القائد الصهيوني البارز واحداً من هؤلاء "الصهاينة المثاليين" القريبين من إيخمان. هل تعرفون بما أجاب هذا "المثالي" على سؤال اللجنة البريطانية الملكية عن إمكانية نقل 6 ملايين يهودي من أوروبا الغربية إلى فلسطين لإنقاذهم من الإرهاب الهتلري؟ تمعنوا جيداً في عقيدة هذا الصهيوني من خلال إجابته التالية:

"لا، سيزول كبار السن... فهم مجرد غبار، غبار اقتصادي ومعنوي لهذا العالم الكبير... وسيبقى الفرع فقط..."

إن هذه الرموز تخفي الثأر الرهيب من "كبار السن" ــ من هؤلاء الذين سمتهم مجلة "شبيجل" "بيهود الغرب المثقفين الذين لم يكترثوا على الإطلاق بالصهيونية". وهذه الرموز تخفي في طياتها فكرة وحشية قاسية حقاً: "دعهم يقتلون ويحرقون. أما

نحن ففي مقابل إنقاذ الحياة سنسكن في فلسطين الأثرياء والشباب فقط وسنربى منهم إسرائيل التي نطمح إليها".

وهكذا، فحتى في أوقات الفاشية الهتلرية ولدت في رؤوس قادة الصهيونية، على دماء وعظام ملايين اليهود، فكرة "إسرائيل التي يطمحون إليها" لكي يجسدونها في الحياة بعد عدة سنوات.

وقد كتب الصحفي الألماني هانز هايني أن "الصهاينة لم يعتبروا انتصار النازيين في ألمانيا كارثة قومية بل اعتبروه إمكانية تاريخية **فريدة** لتحقيق المساعي الصهيونية".

إسرائيل التي يطمحون إليها...

إن دولة إسرائيل التي وقعت فور إنشائها تقريباً تحت أقدام الصهاينة بدأت نشاطها بالأعمال الاستفزازية، حيث أمر بن جوريون أول رئيس وزراء لها العملاء الصهاينة بتفجير معبد يهودي في بغداد لكي يمكن استغلال هذا الانفجار كإثبات "للعداء الوحشي الذي يكنه العرب للسامية" وكحجة لشن الحرب "المقدسة" المعادية للعرب.

وهذه سياسة معروفة، فلم تكن عشر سنوات قد مضت منذ اختلق الهتلريون تمثيلية "هجوم البولنديين" على محطة

الإذاعة الألمانية وبدأوا الحرب ضد بولندا، وبهذا بدأوا الحرب العالمية الثانية.

وهكذا استخدمت الوصفة الفاشية بتفنن بالغ من قبل الصهاينة في الأشهر الأولى من وجودهم بالسلطة في إسرائيل. هذا مع العلم بأن هذه الوصفة ليست الوحيدة...

وعلى مدخل الكنيست الإسرائيلي توجد كتابة باللغة العبرية: "أيها اليهودي، وطنك ــ من النيل إلى الفرات". وهكذا فإن "إسرائيل العظمى" ليست مجرد ثرثرة لعدد من المجانين الصهاينة، بل هي سياسة عليا لدولة، كما كانت سياسة "ألمانيا العظمى" لدى الهتلريين.

وبعد "حرب الأيام الستة" أعلن نائب رئيسة الوزراء الإسرائيلية إيجال آلون "أن واجبنا هو أن نعمر "إسرائيل العظمى"... ومن يشك في هذا فهو يشك في **كل مذهب الصهيونية**".

وحتى لا يشك أحد في إمكانية قيام "إسرائيل العظمى" يستشهد "بمصادر الكتاب المقدس". وكان الفاشيون يعتبرون أنفسهم "عنصراً مختاراً" ولكن بلا أي استشهاد "بمصدر ديني".

أما الصهاينة فعندهم البراهين الدينية ــ فقد أعلن بن جوريون في حديث له مع الصحفية الأمريكية هرترودا سميولس

أن النتيجة الرئيسية "لحرب الأيام الستة" هي إثباتها لصحة كلمات الرسول موسى التي جاءت في التوراة موجهة إلى اليهود: "أن عددك قليل بين الشعوب. لهذا يجب عليكم أن تكونوا "آم سيجولا". واستطرد رئيس الوزراء السابق قائلاً للصحفية "وأنا لا أستطيع أن أعطي ترجمة دقيقة، ولكن معنى هذا التعبير يتلخص في الآتي: يجب عليكم أن تكونوا أحسن من الشعوب الأخرى".

إلا أن بن جوريون ما كان يجدر به أن يرهق نفسه بالبحث في تاريخ التوراة البعيد لكي يثبت وجود "عنصر عالمي يهودي" خاص. فقد كان يمكنه أن يستشهد بهتلر بدلاً من الرسول موسى وبكتاب "ماين كامبف" بدلاً من التوراة. هذا لأن الفوهرر بالذات أكّد في هذه التوراة النازية بالذات (وإن كان هذا لأهداف أخرى معادية للسامية) إن العقيدة الأساسية للصهيونية تتلخص في وجود "عنصر عالمي يهودي".

والصهيونية مشبعة بأيديولوجيا العنصرية والعسكرية كما كانت الفاشية مشبعة بها. ويعلن عن ذلك واحد من القادة الصهاينة وهو مناحيم بجين قائلاً: "من الدم والنار والدموع والرماد ينشأ عنصر بشري جديد لم يكن العالم يعلم عنه شيئاً على امتداد 1800 عام أخير... عنصر اليهود المناضلين".

وإليكم أيضاً أقوال اثنين من المفكرين الصهاينة، وهذه الأقوال تبين تقارب مذهبي الفاشية والصهيونية:

"ليست هناك ضرورة لكي نعرف الأشخاص العالمين بهذا الموضوع ما هي "القومية اليهودية"... فإذا كنا نعترف بأن هدف كل ما هو موجود هو ظهور الإنسان الأعلى للعادة فإن جزء هاماً من هذا الهدف هو **ظهور الشعب الأعلى الخارق للعادة**" (أحاد جاعام).

"سيهلك العنصر الأدنى تماماً وفي القريب العاجل ولا أرى أي خلاص له من ذلك. إن الموت المقدر لأطفال الطبيعة ليس موتاً معذباً على الإطلاق" (ماكس نورداو).

فهل نحتاج بعد هذه "البحوث النظرية" لمفكري الصهيونية إلى أية براهين إضافية لإثبات التشابه (وإن لم تقل ـ التطابق) بين "الفاشية العادية" "والصهيونية العادية"؟ وكما أشار الصحفي الأمريكي موريس كوهين "فإن الصهاينة يشاطرون إيديولوجيا المناضلين للسامية في أساسها مع استخلاص استنتاجات أخرى عند ذلك: فهم يستبدلون التفتوني باليهودي الذي يشكل بالنسبة لهم العنصر الأنقى والأعلى".

ولكن التشابه هنا ليس نظرياً فقط إذا صح لنا استخدام هذا اللفظ. فالتشابه في التطبيق الصهيوني أكثر وضوحاً.

ويظهر هذا التشابه ـ في المقام الأول ـ في "إعادة تربية" السكان الإسرائيليين وخاصة الشباب على روح التعصب العنصري. فمنذ عشر سنوات على وجه التقريب علم مناحيم بجين الجنود الإسرائيليين قائلاً لهم: "لا يجب عليكم يا إسرائيليون أن تشعروا بالشفقة وأنتم تقتلون عدوكم. ولا يجب أن تعطفوا عليه طالما لم ندمر ما يسمى بالثقافة العربية التي سنبنى على أنقاضها حضارتنا الخاصة بنا".

ويرددون دائماً للشباب بالمدارس والمعاهد العليا الإسرائيلية أن العرب يشكلون "طابوراً خامساً". وتخصص 272 ساعة دراسية لإعداد الأطفال عسكرياً. كذلك يخصص لدراسة التوراة (لإشعال الكراهية لغير اليهود أو لليهود غير المؤمنين باليهودية) عدد من الساعات يزيد على ساعات جميع العلوم الرياضية مجتمعة (وهذا في السنتين الأخيرتين بمدارس الثماني سنوات!). أما في السنوات الأخيرة فتدرس مادة فريدة في نوعها وهي "الوعي القومي".

فهل يحق لنا بعد ذلك أن نتعجب إذا علمنا أن أطفالاً صغاراً للغاية أجابوا بهدوء على سؤال "ماذا نفعل مع العرب؟" (هذا السؤال يطرح بشكل دوري في المدارس الإسرائيلية لمراقبة أفكار الأطفال، كما يبدو) بأنه "يجب قتلهم".

وهل لنا أن نتعجب لهذا الفرح العظيم الذي تقابل به هذه المنجزات الصهيونية من جانب المناهضين السابقين والألداء للسامية من بين الهتلريين الذين لم يقض عليهم حتى النهاية. فصحافة شبرينجر التي ورثت عن الفاشيين كل طرق إشعال الكراهية وروح التحريض تمجد الآن القادة الإسرائيليين "لفضائلهم" النازية بالذات مثل التعصب العنصري تجاه الشعوب الأخرى وكراهية الشيوعية والشيوعيين.

وقد كتب الفيلسوف النمساوي والكاتب اليهودي الأصل حيونتر اندرس عن فرح صحافة شبرينجر البالغ يقول: "إنني كيهودي أشعر بالخزي أن يمدح أبناء جنسي بتعبيرات كان النازيون يستخدمونها من قبل لمديح القوات المسلحة التي "لا تقهر".

فهل كان أحد يتصور منذ ثلاثين عاماً أن الألمان بألمانيا الغربية سينفضون مرة أخرى الغبار من فوق درع ذخيرة الألفاظ العسكرية لكي يبحثوا فيها عن كلمات لتمجيد شجاعة الإسرائيليين؟...".

وهكذا أقام الصهاينة على "ركائز" من 6 ملايين يهودي من ضحايا الفاشية الهتلرية جسراً يوصل ما بين نظرية وتطبيق

"الفاشية العادية" (بما في ذلك العداء المتطرف للسامية) ونظرية وتطبيق "الصهيونية العادية".

إلا أن الصهيونية الآن اكتسبت سمة جديدة لا تقدر من وجهة نظر المدافعين عن الإمبريالية المعاصرة.

قبضة الإمبريالية

وهذه السمة هي عداء الصهاينة الخارق للشيوعية وللاتحاد السوفييتي.

يمكن القول أن هذه السمة جديدة بصفة نسبية فقط. ففي واقع الأمر كان الصهاينة يكنون دائماً حقداً مسعوراً للشيوعيين. والأكثر من ذلك أن الصهاينة لم يكفوا أبداً عن اعتبار الشيوعيين "العدو رقم واحد".

ولكن في العقود الأولى من القرن العشرين كانت الإمبريالية تعتمد في صراعها ضد الطبقة العاملة العالمية وضد دولة العمال والفلاحين الاشتراكية الفتية على الفاشية أساساً أما الصهيونية التي لم يكن لها جهاز حكومي والتي لم تكن تشكل في ذلك الوقت قوة منظمة ذات شأن فكانت تلعب في ذلك الصراع أدواراً ثانوية.

إلا أن الفاشية منيت في نهاية الأمر بهزيمة ساحقة أما دولة إسرائيل التي قامت في 1948وفقاً لقرار منظمة الأمم المتحدة فسرعان ما وقعت في أيدي قادة الصهيونية العالمية المرتبطين ارتباطاً وثيقاً برأس المال الأمريكي الاحتكاري. واستخدمت الصهيونية العالمية بدهاء حقيقة التزايد الكبير في تقزز الشعوب من العداء للسامية نتيجة لأعمال الفاشية الهتلرية الوحشية المعادية للسامية. واغتصب قادة الصهاينة لأنفسهم حق التحدث باسم جميع اليهود أينما وجدوا مصورين أنفسهم "بحماة اليهود في كل أرجاء العالم". وكانت الخاتمة المنطقية لكل ذلك هذه الأقوال العجيبة التالية: "إن إسرائيل لها حدود مع كل العالم ومع كل الإنسانية" (من كتيب "إسرائيل دولة يهودية" الصادر في تل أبيب).

وهكذا أصبح قادة الصهاينة خلسة (بطريق التناقضات الظاهرية الصهيونية المعروفة لنا) يضعون كل ما هو "يهودي" في مقابل كل ما هو بشري كما كان هتلر يضع كل ما هو "ألماني" في مقابل كل ما هو بشري. وصار الموظفون الصهاينة يدعون "لنظريات" مثل "الجنسية المزدوجة" و"ازدواج جنسية اليهود"، وملخص هذه النظريات أن كل يهودي أينما عاش هو في المقام الأول من رعايا إسرائيل والاتحاد اليهودي العالمي ثم هو بعد ذلك مواطن للدولة التي يعيش "منفياً فيها".

إن سوء نية وكذب هذه النظريات لا يحتاجان لأية براهين. ولكن يجب أن نأخذ في الاعتبار أن هذه النظريات لا تقدم في شكل مكشوف وسافر. بل إن "نظريات الجنسية المزدوجة" و"الوطنية المزدوجة" تغطى بكلمات عن النضال ضد العداء للسامية ومن أجل الحقوق القومية لليهود. ولهذا فإن السموم الصهيونية بالرغم من أنها ملفقة من بدايتها إلى نهايتها تنفذ في وعي آلاف الأشخاص يهوديي الأصل خاصة وأن عشرات المراكز الدعائية الكبرى التي توفرها الحكومات الإمبريالية للصهيونية العالمية تقوم بنشر هذه السموم.

ويمكن القول بأن واضعي استراتيجية الإمبريالية أخذوا في اعتبارهم كل هذه الحقائق المرتبطة بتعاظم قوة الصهيونية العالمية بعد الحرب كما أخذوا في اعتبارهم أيضاً وجهتها المعادية للشيوعية وللاتحاد السوفييتي بشكل حاد. ففي الظروف التي فقدت فيها الوسائل الفاشية نهائياً على وجه التقريب هيبتها في أعين الشعوب أصبحت الصهيونية العالمية بالنسبة للإمبرياليين الوسيلة الأساسية التي يستخدمونها في صراعهم ضد الاتحاد السوفييتي والأسرة الاشتراكية والحركة الشيوعية والعمالية ونضال التحرر الوطني. وفي هذا الصدد كتب وولف أرليخ عضو المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي

يقول: "أصبحت الحكومة الإسرائيلية والمنظمات الصهيونية في الكثير من بلدان العالم بما فيها إسرائيل الأداة الأساسية في الصراع السياسي والإيديولوجي للإمبريالية ضد الاشتراكية والشيوعية وضد البلدان الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفييتي".

إن اتهام كل من يعارض السياسة العدوانية لإسرائيل بالشرق الأوسط وكل من ينقد مسلمات الصهيونية وكل من يُسمي الأشياء بأسمائها الحقيقية ـ اتهامهم جميعهم بالعداء للسامية يعد وسيلة من بين ترسانة الوسائل التي تكثر الصهيونية استعمالها بسفالة لا حدود لها في هذا الصراع.

ومن وجهة النظر هذه فإن موقف قادة الصهيونية العالمية تجاه الاتحاد السوفييتي وبلدان الأسرة الاشتراكية له دلالته. إن ما يبعث الهلع الشديد والحنق المسعور في نفوس الزمرة الصهيونية هو أن "المشكلة اليهودية" قد حلت في الاتحاد السوفييتي لأول مرة بطريقة ديموقراطية بفضل السياسة اللينينية إزاء المسألة القومية، وأن المواطنين السوفييت اليهودي الأصل يتمتعون بحقوقهم السياسية والاقتصادية المتساوية مع حقوق القوميات الأخرى. ويؤول الصهاينة بشكل ميكانيكي أي نشاط يقوم به المواطنون السوفييت تأويلاً سلبياً ويسمون أي ذكر لاسم يهودي عند نقد أي عيب من العيوب في الصحافة السوفييتية بأنه "تجل

للعداء للسامية". ولقد كان أحد الصحفيين الأمريكيين حاد القريحة عندما قال إن الصهاينة "لا يستطيعون أن يغفروا لروسيا السوفييتية عدم وجود مذابح لليهود فيها".

إنّ كذب ما يقوله الصهاينة عن "حمايتهم لليهود في كل أرجاء العالم" يمكن أن يكشف بسهولة إذا أخذنا في الاعتبار التزامهم الغريب بالصمت عندما يجري الحديث عن حقائق العداء للسامية في الولايات المتحدة على سبيل المثال. فمن المعلوم أن العداء للسامية في هذه البلاد يكتسب أشكالاً أكثر عربدة مما كان في حينه في ألمانيا الهتلرية ذاتها. ولكي أبين مدى خطورة الوضع الذي ينشأ في الولايات المتحدة بالنسبة لفئة اليهود الكبيرة العدد للغاية، سأكتفي بسرد ما قاله روى فرنكهاوزر، وهو سياسي أمريكي من ولاية بنسلفانيا، وإليكم نص كلماته: "نحن لا ننسى اليهود أيضاً. ولو علم اليهود ما ينتظرهم (صدقوني فإن هذا سيحدث كما سيأتي الفجر غداً) لوعوا أن ألمانيا الهتلرية إذا ما قورنت بما يمكن أن يحدث في أمريكا ستبدو لهم مثل نزهة تقوم بها مدرسة الأحد. وسنبني أجود غرف الغاز وسيكون عددها أكبر. وفي هذه المرة لن يكون هناك لاجئون...".

فإن القادة الصهاينة الأمريكيين ويشترك معهم بالطبع حكام إسرائيل يفضلون السكوت عن هذا الجو المعنوي الذي تزداد حدته أسبوعياً بسبب انفجارات المعابد اليهودية واغتيالات اليهود والتفرقة العنصرية للأقلية اليهودية كما سكتوا في وقت من الأوقات عن "المذابح" الفاشية "لليهود". وبالرغم من ذلك أنشأوا "رابطة الدفاع عن اليهود" التي أقل ما يثير قلقها هو مصير اليهود في أمريكا والتي تصبح فصيلة ضاربة معادية للاتحاد السوفييتي تستخدمها الصهيونية العالمية في صراعها ضد الحركة الشيوعية.

وهكذا مرة أخرى: يسير الصهاينة كالسابق في صفوف واحدة مع أعداء للسامية عندما يتعلق الأمر بالصراع ضد الاتحاد السوفييتي والشيوعية.

"روسيا الأدبية"، 22 يناير (كانون الثاني) 1971.

الصهاينة يقوضون

الأمن والسلام العالمي

بقلم لابتيف

تلوح للأنظار أكثر فأكثر على صفحات الصحافة العالمية أسماء المنظمات الصهيونية العالمية مراكزها وأقسامها وفروعها في البلدان المختلفة. ويجري العديد من المؤتمرات والاجتماعات وما شابه ذلك من تجمعات ويزداد النشاط المكشوف والسري للصهيونية والدعاية لأفكارها ونظرياتها. وقد انعقد في بروكسل بضجيج كبير ما سُميّ بالمؤتمر العالمي للمنظمات اليهودية.

في الماضي عرف تاريخ الصهيونية أحداثاً مماثلة. إلا أن هذه الحملة الصهيونية الصاخبة لها هذه المرة سمة أخرى واضحة تماماً، فهي ترمي إلى تعقيد العلاقات الدولية، إذ تتحول

المنظمات الصهيونية الدولية والقومية إلى بوق صريح للرجعية العالمية وإلى أداة مطيعة لتلك الدوائر الإمبريالية التي تربط حساباتها بزيادة حدة التوتر العالمي.

التوشيح الصهيوني

صرح رئيس المجلس الصهيوني العالمي ناعوم جولدمان بالآتي: "خلال عشرات السنوات التي أمضيتها في العمل السياسي كنت دائماً ما اصطدم بأن وزارات الشئون الخارجية بكل البلدان تقف ضد الصهيونية وإسرائيل".

وهذه بالطبع حيرة فيها الكثير من التصنع. فناعوم جولدمان بالذات هو خير من يعلم لماذا تقف وزارات الشئون الخارجية (بالطبع لا يسري هذا على جميع البلدان لأنه لو صح ذلك لكانت خارجية الولايات المتحدة أشبه بمنظمة مناضلة ضد السياسة العدوانية لإسرائيل) بشكل حاد ضد الصهيونية. هو يعلم أن جذور الشر لا تكمن في الأساليب بل في جوهر السياسة الصهيونية العالمية ذاته وفي طبيعتها الإمبريالية التي تملي بشكل حتمي الأساليب المناسبة.

وقد كان تنظيم اقتحام النازحين اليهود لفلسطين واحداً من الأعمال الضخمة الأولى للصهاينة بعد الحرب العالمية الثانية.

ظهرت في أوروبا مشكلة النازحين سواء اليهود منهم أو غير اليهود (وكان عدد غير اليهود أكثر بكثير) كنتيجة للعدوان الهتلري ولسياسة إبادة البشر بالجملة. ومنذ بداية الأمر أعطى الصهاينة بالذات عن قصد طابعاً درامياً لهذه المشكلة. ولا يخفى على أحد أن انتصارات الجيش السوفييتي وقوات التحالف المعادي للهتلرية مكنت من تحطيم الفاشية وإيديولوجيتها المتسمة بالتطرف في العداء للسامية. وبعد التحرر لم يكن وضع النازحين اليهود أسوأ من وضع النازحين من القوميات الأخرى. إلا أن ضوضاء لا حد لها أثيرت حول موضوع النازحين اليهود بالذات.

وكان ثمة خطط لحل هذه المشكلة. وإحدى هذه الخطط عرضها رئيس الولايات المتحدة روزفلت الذي اقترح خلق الظروف الملائمة لليهود النازحين داخل البلدان الأوروبية والولايات المتحدة حتى يستطيعوا العودة إلى الحياة الطبيعية. إلا أن كل الحلول المماثلة مهما بدت مقبولة ومعقولة رفضت من جانب المنظمات الصهيونية. وعلى ما يبدو، فلم تكن المنظمات الصهيونية تهتم على الإطلاق بعودة اليهود إلى الحياة الطبيعية. بل والأكثر من ذلك أن الدوائر الصهيونية بالذات كانت تسعى لتعقيد عودة اليهود إلى الحياة الطبيعية، ولجعل وضع اللاجئين اليهود في أوروبا أكثر سوءاً بهدف إجبار هؤلاء اليهود على اعتناق الأفكار الصهيونية والانضمام إلى ما يسمى بجيش فلسطين.

وأحبط الصهاينة الأمريكيون كل الجهود المبذولة لفتح أبواب الولايات المتحدة الأمريكية أمام النازحين اليهود، ولإعطائهم الحق في الإقامة في أية بلاد أخرى حسب اختيارهم. ولم يكن الصهاينة ليتحرجوا من استعمال أي وسائل. فعلى سبيل المثال اقترح الحاخام كلاوزنر في أحد تقاريره على "المجلس اليهودي الأمريكي" توفير تيار مستمر من اليهود النازحين إلى فلسطين وذلك بإيقاف تزويدهم بالمواد الغذائية. وقد وصل الأمر به إلى دعوة المنظمة الصهيونية الإرهابية "الهجانة" إلى "تخويف اليهود".

و"بوسائل" مماثلة أمكن نقل حوالي 500 ألف شخص من مختلف بلدان أوروبا إلى فلسطين للاستيطان.

إن الاقتحام الذي نظمه الصهاينة لفلسطين كان في أساسه عملية إمبريالية واسعة مدبرة ضد حركة التحرر الوطني المتزايدة بالعالم العربي. وقد استخدم الإمبرياليون فكرة خلق "وطن يهودي" ـ لم تكن فكرة خلقه مرتبطة دائماً بفلسطين ـ لإلحاق ضربة بحركة التحرر العربي ولخلق قوة عدوانية مطيعة لهم في هذه المنطقة. وبالشرق الأوسط، كما في أنحاء العالم الأخرى، التحمت الصهيونية مع الإمبريالية في صفوف أعداء السلام والتقدم.

اتجاه جديد

شهدت السنوات الأولى لما بعد الحرب العالمية الثانية إعادة تنظيم مراكز الصهيونية العالمية وانتقال أجهزتها القيادية من غرب أوروبا إلى الولايات المتحدة، كما شهدت تقارباً شديداً لهذه الصهيونية مع الجهاز السياسي والاقتصادي والدعائي للإمبريالية الأمريكية.

والسبب الرئيسي لهذه التغيرات يكمن في سعى قادة الصهيونية العالمية إلى تحالف (مع عدم الإعلان دائماً عن هذا التحالف) مع الأوساط الاحتكارية الأمريكية. وكان لهم ما يدعو من الأسباب لعقد آمالهم على أن الصلاة مع التجمع الأمريكي الصناعي الحربي ستحقق لهم إمكانية التأثير على تكوين السياسة الداخلية والخارجية لأكبر دولة في العالم الرأسمالي. وفي الغالبية العظمى من الحالات تجسد هذا في عملية التحام عضوي وفي خلق ضرب من الاتحاد بين الصهيونية العالمية والإمبريالية.

إن جزء كبيراً من الأمريكيين ذوي الأصل اليهودي يملكون ويديرون الشركات بما في ذلك أضخمها. ومواقع اليهود الأمريكيين قوية بشكل خاص في البنوك وشركات التأمين. ويزيد دخل اليهود الأمريكيين بمقدار 40 ـ 50٪ عن

دخل جميع المجموعات السلالية الأخرى بالولايات المتحدة. كذلك فإن تأثير اليهود الأمريكيين على وسائل الإعلام العام قوي إلى نفس الدرجة. فعلى سبيل المثال يشغل ممثلو الطائفة اليهودية منصب الرئاسة في أضخم ثلاث شركات تلفزيونية بالولايات المتحدة الأمريكية. أما في صحيفة "واشنطن بوست" فإن اليهود يشغلون ثلاثة أرباع وظائف المحررين والمعلقين البارزين. ولا يختلف الوضع كثيراً في وسائل الإعلام العام الأخرى.

ويمكن أيضاً تعليل اختيار الولايات المتحدة الأمريكية كمركز للصهيونية العالمية بأن المنظمات اليهودية الصهيونية النزعة الأكثر تعداداً والأضخم من ناحية الإمكانيات المالية توجد بالولايات المتحدة، وهذه المنظمات تستند على أكبر طائفة يهودية في العالم بما لها من ارتباطات وثيقة مع الرأسمال الاحتكاري وجهاز الإدارة. وفي الوقت الذي يقدر فيه العدد الكلي لليهود بالولايات المتحدة بحوالي 6 ملايين شخص، يوجد بها أكثر من 300 منظمة يهودية، منها 70 منظمة ذات طابع صهيوني موال لإسرائيل بشكل صريح. وأكبر هذه المنظمات هي - "المجلس اليهودي الأمريكي"، "بناي بريت"، "يونيتد جويش أبل"، "المنظمة الصهيونية الأمريكية". وتقدر مصاريف المنظمات اليهودية الأمريكية داخل الولايات المتحدة في المتوسط بـ800 مليون دولار في السنة.

وهكـذا ، فـإن تحويـل مراكـز الصـهيونية العالميـة إلى الولايات المتحدة ليس على الإطلاق مجرد اختيار للمقر، بل هو اختيـار للخـط السياسـي والاعتمـاد علـى التحـالف مـع الـدوائر الإمبريالية المتطرفة بالولايات المتحدة. وتبعاً لهذا الغرض الأساسي تغـيرت أسـاليب وأحجـام العمـل التخـريبي للصـهاينة وأسـاليب نشاطهم على المسرح العالمي. لقد تحول الصهاينة إلى مساعدين للأوساط العدوانية للإمبريالية الأمريكية التي ترحب بخدماتهم.

إن انتقـال مركـز قيـادة الصـهيونية إلى الولايـات المتحـدة الأمريكية لم يكن على الإطلاق ليعنى النية في تجميد النشـاط الصـهيوني في بلـدان أوربـا الغربيـة وفي القـارات الأخـرى مثـل أمريكا اللاتينية وآسيا وإفريقيا حيث ركـز الصهاينة مواقعهم في جمهورية جنوب أفريقيا. بل على العكس فإن هـذا النشـاط تزايد في الآونة الأخيرة بشـكل ملحوظ. هـذا مع العلم بـأن الـدور القيادي السائد للمنظمات الصهيونية الأمريكية يصبح عاماً بعد عام أكثر وضوحاً. فالخط السياسي لهذه المنظمات، سواء كـان في شكله العام أو في تفاصيله، يقدم منذ زمن بعيد إلى المنظمات الصهيونية في البلدان الأخرى على هيئة قرارات جاهزة.

وعادة يجري النشاط التخريبي للصهاينة أثناء مختلف أنواع الحمـلات وخـلال وسـائل الإعـلام الجمـاهيري وفي المـؤتمرات

والاجتماعات وعن طريق الضغط على الأجهزة الحكومية والأحزاب الحاكمة وبعض الشخصيات. وعند ذلك يحاول الصهاينة جذب أكبر عدد ممكن من أعضاء الطوائف اليهودية إلى هذه الحملات. كذلك ينتشر بشكل واسع استخدام الشخصيات ذات الأصل اليهودي بالبرلمانات والحكومات والمؤسسات الحكومية.

مارس الصهاينة السياسة العالمية قبل وأثناء وبعد الحرب العالمية الثانية. وحصلوا على خبرة كبيرة في عمليات عقد الاتصالات الدبلوماسية مع شخصيات الرايخ الفاشي. وقد أثبتت الوثائق في قضية كاستنر بالقدس عام 1955 أن المنظمات الصهيونية العالمية قامت في الفترة ما بين 1944 و1945 بتزويد القوات الهتلرية بالمواد العسكرية مع اشتراط استخدامها ضد الجيش السوفييتي فقط. كذلك قدم الصهاينة مساعدتهم للنازيين في إجراء المفاوضات بشأن الاستسلام لجيوش الدول الغربية. وأكثر من ذلك، فقد فضحت هذه القضية تعاون القيادات الصهيونية مع النازيين من أجل إبادة مئات الآلاف من اليهود وإحباط تنظيم حركة المقاومة، وتسليم الأنصار اليهود إلى الجلادين الهتلريين. وقد أفادت هذه الخبرة الصهاينة بعد الحرب خاصة وأن الاتجاه العام لسياسة المنظمات الصهيونية لم يتغير.

وليس من قبيل المصادفة أن النشاط العالمي لقادة الصهيونية انطبق مع خط أشد أنصار "الحرب الباردة" تطرفاً الذين يسعون إلى عدم السماح بتخفيف حدة التوتر العالمي. ففي ديسمبر (كانون الأول) عام 1959 أعلن ناعوم جولدمان الذي كان في ذلك الوقت رئيساً للمنظمة العالمية الصهيونية أن: "روح التصالح المحلقة بين الكتلتين مفعمة بالخطر على الدولة الإسرائيلية..". وقد أسرع بن جوريون في ذلك الوقت إلى الولايات المتحدة الأمريكية لإقناع الرئيس ايزنهاور "بإبداء التشدد) في المفاوضات مع الاتحاد السوفييتي.

ولا يصح أن نغالي في الدور العالمي الذي تلعبه المراكز الصهيونية إلا أنه في نفس الوقت من الخطر أن نقلل من شأنه، حيث أن السياسة الاستفزازية للصهاينة تلحق الضرر بالعلاقات بين الدول.

ولا يوجد لدى المنظمات الصهيونية أي برنامج إيجابي في مجال العلاقات الدولية. ويعهد إلى هذه المنظمات بالعمل التخريبي القذر للغاية لكونها القوة الضاربة لأشد الدوائر الإمبريالية رجعية. ويمكن متابعة هذه الحقيقة بشكل واضح بدراسة العلاقات السوفييتية الأمريكية.

ففي منتصف 1970 نشرت "اللجنة الأمريكية اليهودية" الواقعة تحت تأثير الصهاينة بياناً دورياً عن سياسة الاتحاد السوفييتي. إن مؤلفي هذا البيان الاستفزازي الزائف بتحريفهم الفظ لأهداف السياسة الخارجية السوفييتية وبتكديسهم لمجموعة كبيرة من الأساطير الخرافية عن "الوجود العسكري السوفييتي في مصر" يحاولون "زيادة حدة" المشكلة. ويجعل هؤلاء المؤلفون التأثير على وزارة الخارجية الأمريكية والبيت الأبيض ذاكرين في تصريحهم أن "توازن القوى في هذه المنطقة قد اختل بالفعل وأن تحدياً خطيراً وجه إلى الإرادة القومية للولايات المتحدة. ويتعين على الولايات المتحدة أن تعلن بكل وضوح للاتحاد السوفييتي أنها تنوي الدفاع عن مصالحها الحيوية بالشرق الأوسط...".

ورد فولبرايت في حينه رداً عنيفاً على مثل هذه التصرفات، قائلاً أن مؤلفي هذا البيان، مثله هو أيضاً، لا يعتقدون في حقيقة الأمر في الأحاديث عن أن الروس يتحدون "الإرادة القومية للولايات المتحدة". وقال هذا السيناتور السابق أيضاً: "لقد تكون لدي انطباع بأن مؤلفي هذا البيان، نظراً لشعورهم بالارتباط الثقافي والديني مع إسرائيل، يعتبرون أنه ليس في استطاعتهم أن يقنعوا حكومة الولايات المتحدة ممارسة سياسة تخدم هذا الارتباط".

واستراتيجية "الحرب الباردة" ليست من اختراع الصهاينة، إلا أنهم بتشبثهم المتشنج بعقائدها وخرافاتها يهددون دائماً كل نظام العلاقات الدولية. وفي هذا الصدد يكتسب تصريح النائب السابق لوزير الخارجية يوجين روستو، الذي لم تحاول الصحافة الأمريكية يوماً أن تخفى علاقاته الوطيدة مع الصهاينة، أهمية خاصة. فعندما كان يتحدث في مؤتمر المنظمات اليهودية لولاية كونكتيكوت في مارس عام 1970 دافع بحرارة عن زيادة القوة الضاربة لحلف شمال الأطلنطي وخاصة في مجال القوات البحرية والجوية.

ومثل هذه المؤتمرات تجد صدى واسعاً في الصحافة وتساعد على تشكيل رأى المواطن الأمريكي بما يمالئ الصهيونية العالمية وإسرائيل. إن العمل النشط الذي يقوم به عملاء إسرائيل في الكونجرس وفي المؤسسات الحكومية بالولايات المتحدة له دور هام. فالصهيونية قد ترسخت في الظروف الأمريكية واتحدت مع التيارات الرجعية الأخرى حتى إن نشاطها الرامي إلى تقويض العلاقات السوفيتية الأمريكية أصبح يعتبر شيئاً طبيعياً.

ومن الأشكال الأخرى للعمل الاستفزازي الصهيوني الرامي إلى تعقيد العلاقات السوفييتية الأمريكية ذاك النشاط الإجرامي المكشوف الذي يمارسه أعضاء ما يسمى "برابطة

الدفاع عن اليهود" ضد المواطنين السوفييت والمؤسسات الرسمية السوفييتية بالولايات المتحدة. وقد تظاهرت المنظمات الصهيونية "الرصينة" بانزعاجها من مثل هذه الأعمال الإجرامية. أما في واقع الأمر فلا توجد أية خلافات مبدئية بين عصابة الحاخام كاهاني والمراكز الصهيونية الأخرى. فقد وصلت "الرابطة" بالأفكار الصهيونية حتى نهايتها المنطقية دونما أن تسعى إلى تمويه جوهرها.

... وزادت بشكل واضح جسامة وأبعاد النشاط الاستفزازي الإجرامي للمنظمات الدولية الصهيونية، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية. وتحاول أجهزة الدعاية البرجوازية أن تصور هذه الأعمال على أنها نتيجة لنشاط عفوي لفئات معينة من السكان. إلا أن مثل هذه المحاولات لا تثير إلا الضحك. ومن البديهي تماماً أن الصهاينة ما كان يمكنهم القيام بهذه الأعمال الإجرامية لولا التغاضي التام لسلطات الدول التي تجري فيها هذه الأعمال. لهذا بالذات فلا يستطيع أحد أن يلغي مسئولية استمرار الأعمال الإجرامية التي تلجأ إليها المنظمات الصهيونية من الحكومات التي تتساهل معها بشكل أو بآخر. وتلعب جرائم الصهيونية العالمية دور أحد العناصر المكونة لسياسة زيادة حدة التوتر في العلاقات بين الدول والشعوب وأحد الاتجاهات الهامة للعداء للاتحاد السوفييتي في الوقت الراهن.

ومن السمات المميزة في هذا الشأن، أن الأعمال الاستفزازية التي يقوم بها الصهاينة لم ترد من جانب السلطات الأمريكية بل أن هذه السلطات لم تقيم هذه الأعمال بالشكل الواجب. ونصت مذكرة الحكومة السوفييتية الموجهة إلى حكومة الولايات المتحدة عن أحد الأعمال الدورية الاستفزازية وهو انفجار قنبلة في مبنى "امتروج" بنيويورك على الآتي: "أن حقيقة استمرار الاستفزازات تجاه الممثلين السوفييت لتدل على أن الجانب الأمريكي، بالرغم من تأكيداته، لم يتخذ إجراءات فعالة لتوفير الظروف الطبيعية لعمل المؤسسات السوفييتية في الولايات المتحدة ولتوفير أمن المواطنين السوفييت". وتحذر الحكومة السوفييتية بكل حسم من أن كل المسئولية عن الوضع الناشئ وعواقبه المحتملة إنما تقع على عاتق حكومة الولايات المتحدة.

التروست الاستعماري للصهيونية

يقوم الصهاينة في البلدان النامية بدور مساعدي الدوائر الإمبريالية، مع العلم بأنهم يعطون الأهمية الكبرى للعلاقات الثنائية مع إسرائيل.

وفي عام 1902 عندما كانت الصهيونية في مرحلة نشوئها حددت موقفها من مسألة المستعمرات، بإنشائها جمعية دولية

مساهمة تسمى "بالتروست الاستعماري اليهودي". وأدرج هذا التروست في استراتيجية وتكتيك الاحتكارات الإمبريالية العالمية بسرعة. ومنذ ذلك الحين مضى الكثير من الوقت. فهل تخلى الصهاينة الآن عن ماضيهم الاستعماري؟

ويجيب الصهاينة على هذا السؤال، قولاً، بالإيجاب. ففي النداء الذي وجهته المنظمة الصهيونية العالمية في أكتوبر (تشرين الأول) عام 1965 بمناسبة مناقشة منظمة الأمم المتحدة لمشروع الاتفاقية الخاصة بالقضاء على التفرقة العنصرية جاء ما يلي: "لم تقف الحركة الصهيونية في أي وقت من الأوقات ضد الشعوب الأخرى وضد مساعيها الوطنية بل على العكس من ذلك فقد أيدت دائماً هذه المساعي بما في ذلك مساعي الشعوب العربية". وتمجد الصحافة الصهيونية دور الخبراء الإسرائيليين في بناء حظائر للدجاج وحفر الآبار وتصليح الماكنات بالبلدان النامية. أما في واقع الأمر فإن السياسة التي وضعها مؤسسو "التروست الاستعماري" الصهيونية لا تزال مستمرة.

وقد وقفت المنظمات الدولية الصهيونية والقادة الإسرائيليون بشكل مباشر أو غير مباشر ضد حركات تحرر شعوب الجزائر وروديسيا والكونغو. وكادت إسرائيل أن تكون الدولة الوحيدة التي وقفت في منظمة الأمم المتحدة إلى جانب العنصريين بجنوب

إفريقيا معللة ذلك بأن "حكومة جنوب إفريقيا لها علاقات في غاية الود والصداقة مع إسرائيل". كذلك فإن أية تلميحات عن تحسين العلاقات الفرنسية الجزائرية أفقدت الصهاينة، الذين حاولوا إعاقة المفاوضات في إيفيان، صوابهم.

وظهر نفاق وكذب مزاعم الصهاينة بكل وضوح أثناء تحرير الهند للمستعمرات البرتغالية الموجودة في أراضيها. عند ذلك هاجمت الصحافة الصهيونية الهند متهمة إياها "بالعدوان" "وخداع" الرأي العام. وكانت الصحف الصهيونية مليئة بالإهانات للهند وقادتها. كذلك قابل الصهاينة الإسرائيليون بحنق شديد تصريح حكومة أندونسيا عن نواياها بتحرير إيريان الغربية. وحذرت صحيفة "دوار" الموالية للحكومة أندونسيا من المضي "في طريق العدوان" وأيدت بشكل صريح الادعاءات الاستعمارية لهولندا.

وقد تبدو من الوهلة الأولى غريبة تلك المغازلة بين الصهاينة وبين نظم التفرقة في جمهورية جنوب إفريقيا. فما زال نظام الحصص ينطبق على اليهود حتى الآن في هذه الدولة العنصرية، شأنهم في ذلك شأن أعضاء المجتمع غير متكافئ الحقوق. وما هذا إلا عداء متستر بعض الشيء للسامية. يتذكر ليسلى روبين العضو السابق بمجلس الشيوخ بجمهورية إفريقيا الجنوبية الذي

أصبح فيما بعد أستاذاً بجامعة هوفرد: "إن جميع خطبي الانتقادية سواء كانت ضد القوانين العنصرية أو ضد الجوانب الأخرى للسياسة الحكومية ولحكم البلاد كانت تقابل في كثير من الأحيان بصيحات: "اذهب إلى إسرائيل!"

ومع هذا فإن المنظمات الصهيونية العالمية وكذلك المنظمات الصهيونية داخل جمهورية إفريقيا الجنوبية ذاتها تمتنع عن انتقاد إبادة البشر بالجملة التي استنكرتها إفريقيا وكل العالم المتحضر.

ففي عام 1960 عندما حدثت في شاربفيل المذبحة التي أثارت الاستنكار في كل العالم فضلت مجموعة "مجلس النواب اليهود بجنوب إفريقيا" الصمت. في حين أنه عندما مات فرفورد نشر اثنان من أكبر الحاخامات بجنوب إفريقيا رثاء متملقاً.

وفي إبريل (نيسان) 1969 صرح رئيس المنظمة الصهيونية العالمية لويس بنكوس قائلاً: "ثمة علاقات طيبة تربط بين جمهورية جنوب إفريقيا وإسرائيل. فكل منهما يتفهم موقف الآخر". ووصل هذا الفهم المتبادل إلى درجة أنه في يونيو (حزيران) 1967 عندما جمع الصهاينة بجنوب إفريقيا 10 ملايين جنيه استرليني صرحت سلطات جنوب إفريقيا بنقل هذا المبلغ إلى إسرائيل بدون عائق. والأكثر من ذلك أن المنظمة السرية الفاشية

"برودربوند" التي تتخفى خلف الحزب الحاكم المتعصب قومياً قدمت إلى المعتدين الإسرائيليين تبعاً لما جاء بالصحف الإفريقية الجنوبية مساعدة مالية ضخمة. وردت إسرائيل هذا الجميل، عندما أيدت "حقوق" إنجلترا في توريد السلاح إلى العنصريين بجنوب أفريقيا. وكتبت صحيفة "ستلا دوتبره" الصومالية: "تحاول الإمبريالية العالمية استعادة سيطرتها على إفريقيا الحرة. ففي شمال إفريقيا تحاول إسرائيل قلب نظم الحكم التقدمية في البلدان العربية. أما في جنوب القارة فإن النظام العنصري بجنوب إفريقيا يقوم بدور الأداة في يد الإمبريالية العالمية".

ويتسع أكثر فأكثر مدى النشاط الدولي للصهيونية في بلدان أمريكا اللاتينية أيضاً. ففي البرازيل على سبيل المثال يعمل بنشاط شخص يدعى اوراسيو كلابين وهو مالك لعدد من الشركات التجارية والصناعية والسياحية الكبيرة. وتزيد الأراضي المزروعة التي تملكها عائلة كلابين من حيث المساحة عن مساحة إسرائيل ذاتها. وتؤكد دوائر الطائفة اليهودية أنه يملك مدينة سيد أدي ـ نوفا التي كثيراً ما يطلق عليها تل أبيب البرازيل.

وكلابين ليس رجل أعمال فقط بل هو سياسي أيضاً. ويقال أنه ينوي خلق "وطن يهودي ثان" في أراضي البرازيل الخصبة،

بحيث يكون احتياطياً في حالة حدوث أية مضاعفات بالشرق الأوسط. وهناك الآن بالفعل قرى يهودية بالأراضي التي يملكها في ولايات بارانا، ميناس ـ جرايس ريو ـ جراندي ـ دو ـ سول.

أن أعمال الخداع التي يمارسها كلابين لن تثير التعجب إذا أضفنا إليها وجود مدرسة يهودية "خاصة" للإعداد العسكري بالقرب من سيدادي ـ نوفا، ويدرس بهذه المدرسة عدة مئات من الأشخاص. وبعد الانتهاء من الدراسة بهذه المدرسة يسافر الخريجون بجوازات سفر "سياحية" إلى إسرائيل للتدريب بالوحدات العسكرية لجيشها النظامي. وبعد اكتساب الخبرة اللازمة يتم إدخال هؤلاء المتطوعين في الجيش البرازيلي بكل إلحاح حتى تتكون فيه فئة صهيونية ضخمة وذات نفوذ.

وتتبعث رائحة البارود من الأعمال "التجارية" للصهاينة البرازيليين، فمن بين البضائع الرائجة الخام النووي الذي يهرب من ولاية اسبريتو ـ سانتو. ومن البديهي أن هذا النوع من النشاط الذي ليس له أية صلة بالمصالح القومية للبرازيل يتطلب الكثير من الأموال. لهذا تجري حملات ابتزاز الأموال من اليهود الواحدة تلو الأخرى، وبهذه الطريقة تسحب عشرات الملايين من عملة الكروزيرو من جيوب اليهود. وتقوم المعابد اليهودية بجمع الأموال من اليهود (فيما يشبه الضريبة) في حالات عقد القران وذلك لصالح "قضية إسرائيل".

وليست البرازيل فقط هي الوحيدة التي أصبحت هدفاً من أهداف النشاط السياسي المتسع للصهيونية العالمية بل إن بلداناً أخرى من بلدان أمريكا اللاتينية تتعرض لنفس النشاط. وهذا النشاط المكرس لتمجيد إسرائيل ودعمها مالياً وسياسياً يرتبط خلال آلاف الخيوط بالمركز الصهيوني الأمريكي.

إن السياسة الخطرة التي تنتهجها الصهيونية العالمية وتوسيع صلاتها مع أكثر قوى الإمبريالية المعاصرة عدوانية وزيادة النشاط الاستفزازي الرامي إلى زيادة حدة التوتر الدولي ـ كل ذلك يعد تطوراً منطقياً لسياسة البرجوازية اليهودية الكبيرة التي تباشر أعمالها في كل مكان وزمان في تحالف واحد مع الاحتكارات الأمريكية والإنجليزية والفرنسية. وما زالت الدوائر الصهيونية بفعل القصور الذاتي تردد أن لها رسالة خاصة "في الدفاع عن الطوائف اليهودية" ولكن في كثير من الحالات تحذف هذه الشعارات كأشياء لا حاجة لها.

إن المنظمات الصهيونية العالمية والقادة الحاليين لإسرائيل يسعون خلال علاقاتهم مع الإمبريالية (وبالالتحام المباشر معها أحياناً) إلى المحافظة على وجودهم والمساعدة في تحقيق الخطط التوسعية وإمكانية البقاء في مقدمة مسرح الحياة السياسية. وهم في بعض الأحيان يتمكنون في المياه العكرة للعداء للاتحاد

السوفييتي من تنفيذ بعض عملياتهم بل ومن تعقيد الوضع في هذا المكان أو ذاك من العالم. إلا أن العيوب والأمراض الجذرية الملازمة للصهيونية وللإمبريالية ككل تدفعها إلى أزمة عميقة لكونها إيديولوجية مفرطة في التعصب القومي وسياسة وتطبيقاً للبرجوازية اليهودية الكبرى.

مجلة "ميجدونا رودنايا جيزن" ("والحياة الدولية") 1971، العدد 6.

السياسة الإجرامية
للمتطرفين الإسرائيليين

بقلم لادييكين

هل فكر ذلك السجين في معسكر اسفنتسيم وهو يموت شهيداً على أيدي السفاحين الفاشيست أنه سيظهر يوماً أشخاص يستغلون عذابه لأهدافهم الخاصة لكي يبرروا جرائمهم الشخصية ضد السلام والإنسانية؟ وهل خطر بباله أن هؤلاء الأشخاص سوف يتاجرون بالملايين الستة الذين أزهقت أرواحهم في معسكرات الإبادة الشاملة الهتلرية؟ ومع هذا فتلك هي الحقيقة، الحقيقة التي تعد من أكثر الحقائق تناقضاً وبشاعة في تاريخ ما بعد الحرب العالمية الثانية.

وقبل نشوء دولة إسرائيل كثيراً ما أقسم مؤسسوها علانية على أن الحياة الداخلية والسياسة الخارجية للدولة ستبنى على

أسس ديموقراطية. ولكن اتضح فيما بعد أن كل هذه التأكيدات ليست أكثر من ستار دعائي لنواياهم الحقيقية. فهؤلاء الذين استولوا على دفة الحكم في إسرائيل اتخذوا الأيديولوجيا الصهيونية كأساس لسياستهم. وتعرى الطابع الإجرامي لهذه الإيديولوجيا بشكل واضح بعد نشوء دولة إسرائيل بوقت قصير.

إن الصهاينة لم يتراجعوا عن مبادئهم العنصرية الإيديولوجية التي وضعت حتى في مرحلة نشوء الصهيونية السياسية بل إنهم بعد وصولهم إلى السلطة استخدموها ضد عرب فلسطين ــ السكان الأصليين للبلد الذي أخذ جزء منه لتقام عليه الدولة اليهودية. وعند ذلك يحاول الصهاينة بطريقة صفيقة للغاية أن يبرروا أعمالهم الإجرامية تجاه غير اليهود بحجة ضرورة حماية مصالح السجناء السابقين في المعسكرات الهتلرية الذين أقام جزء منهم في إسرائيل. وقد أصاب الكاتب الاجتماعي الأمريكي هيل دريبر عندما قال إن المصير المؤلم ليهود أوربا الذين بقوا أحياء في معسكرات الموت الهتلرية كان أداة في يد أشخاص "استخدموا جرائم النازيين لصرف انتباه الرأي العام العالمي عن الجرائم التي تحدث في فلسطين".

وقد كتب الكاتب الاجتماعي الفرنسي بير دمرون "إن هذا الاستغلال الصفيق لذكرى الموتى في داهاو، واسفنتسيم، وتربلينكا... ما هو إلا احتيال أخلاقي. ويبدو أن ضحايا البربرية النازية لم يعذبوا في حياتهم فقط بل تتعرض ذكراهم للعنف أيضاً. فمن جثثهم صنع النازيون الصابون، أما الصهاينة فيستخرجون الأدلة القانونية اللازمة لإثبات عدم جرمهم".

أعلن الصهاينة أن هدفهم الرسمي هو تجميع كل اليهود المنتشرين في أرجاء الكرة الأرضية في "أرض الميعاد". وأعلن بن جوريون وهو أحد مؤسسي إسرائيل أن إسرائيل هي دولة جميع اليهود أينما وجدوا. كذلك أقر "قانون العودة" الصادر بتاريخ 5 يوليو (تموز) عام 1950 حق أي يهودي في أن يكون مواطناً لهذه الدولة. وثم تثبت هذا المبدأ "بقانون الجنسية" الصادر في أول إبريل (نيسان) عام 1952 والذي نص على الآتي: "توجد دولة إسرائيل لكي تكون موطناً ليهود العالم بأسره". واستلزمت سياسة "تجميع كل اليهود" جذب الأيدي اللازمة للاستيطان. ولكي يوجد ما يمكن استيطانه يجب الاستيلاء على أكبر "حيز حيوي" ممكن.

بدأ الصهاينة في توسيع حيزهم الحيوي عام 1948 ثم استمروا في انتهاج هذه السياسة فيما بعد أيضاً. ويشهد الاقتصادي الإسرائيلي ايلي لوبل أن تاريخ الصهيونية يعرف كثيراً من الحالات التي تأخذ فيها المواقف المتطرفة طابعاً

رسمياً. ولن نضطر إلى المضي بعيداً في بحثنا عن مثال. فإذاعة "صوت إسرائيل"، وهي مؤسسة حكومية، تخصص ساعات كثيرة جداً لبرنامج تعليقات التوراة التي تستخدم بشكل صريح تقريباً لنشر الآراء المحمومة لإيلداد والقادة الآخرين لحركة "من أجل إسرائيل العظمى". وبتمجيد إبادة الشعوب التي أقام بينها "أجداد" الإسرائيليين والتي تصفها التوراة، تقوم الإذاعة الرسمية بشكل منتظم بتربية المواطنين الإسرائيليين على طابع التوسع العدواني. وبهذه المناسبة فإن قراءة بعض المقتطفات المتفق عليها سلفاً من التوراة كانت إحدى الإشارات التي استخدمت لتعبئة القوات المسلحة الإسرائيلية سراً في مايو (أيار) عام 1967.

ومن بين الجرائم التي حوكم عليها النازيون الألمان كانت، كما هو معلوم، جريمتهم ضد السلام. وتتلخص الجرائم ضد السلام تبعاً للمادة السادسة للائحة المحكمة الدولية العسكرية "في تخطيط وإعداد وشن أو إجراء حرب عدوانية أو حرب فيها خرق للقوانين والاتفاقيات والتعهدات الدولية أو الاشتراك في خطة أو مؤامرة عامة تستهدف تنفيذ أي من الأعمال المذكورة أعلاه"[1].

[1] محاكمة نيورنبرج. المجلد 1. دار المطبوعات القانونية. موسكو، 1957، ص 67.

لم ينسى العالم عواقب السياسة العدوانية الهتلرية على شعوب أوربا. كذلك فلن ينسى العالم الأعمال التي يقترفها الصهاينة ضد عرب فلسطين وسكان الأراضي المحتلة الذين وجدوا أنفسهم تحت تسلط الصهاينة.

وفي بادئ الأمر تظاهر مفكرو الصهيونية وحاولوا إقناع الرأي العام بأن فلسطين "أرض بلا شعب". وقد زعم ماكس نورداو وهو أحد "زملاء" هرتزل أن أعماقه قد اهتزت من صدمة اكتشافه (!) أن فلسطين مسكونة بالعرب. وتعجب قائلاً: "لم أكن أعلم ذلك! نحن نقترف عملاً غير عادل". ولكن الصهاينة تمالكوا روعهم بسرعة من هذه "الصدمة". فعندما أصبح من المستحيل إنكار الحقائق الدامغة اضطر الصهاينة للاعتراف بأن العرب، على كل حال، وجدوا في فلسطين قبل ظهور الصهيونية إلا أن هذا لم يغير من علاقتهم تجاه العرب.

واعترف بن جوريون قائلاً: "حينما كنت أتحدث عن العرب كنت دائماً أفرق بالنسبة لفلسطين بين حقوق الشعب اليهودي في فلسطين وحقوق العرب الذين يعيشون هناك، وليس حقوق الشعب العربي في فلسطين". يا له من منطق غريب: فاليهود المقيمون في فلسطين عشية إنشاء دولة إسرائيل وعددهم 608230 يعتبرون شعباً، أما 1364330 من العرب المقيمين هناك في نفس

الوقت فهم ليسوا شعباً! وهذا "المنطق" يمكن أن يفسر كلية من وجهة النظر الصهيونية. فعندما وضع الصهاينة خطط استيطان فلسطين بالمهاجرين اليهود حددوا لأنفسهم مهمة ملخصها عمل كل ما يمكن لكي يصبح اليهود أغلبية في هذا البلد.

وفي عام 1919 قال زعيم الصهاينة حاييم وايزمان في حديث له مع وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية ليسينج: "عندما تشكل هذه القومية (اليهود) أغلبية السكان (بفلسطين) ستأتي لحظة المطالبة بحكم هذا البلد". وفي عام 1947 تقابل الصحفي الفرنسي مارسيل بيكار مع امرأة تدعى جولدي ميرسون (الآن جولدا مائير) وسمع منها نفس الكلمات تقريباً: أن هدف الصهاينة هو الحصول على "الأغلبية".

ولكن حتى في ذلك الجزء من فلسطين الذي خصصته منظمة الأمم المتحدة للدولة اليهودية لم يكن للصهاينة "الأغلبية" المرجوة: فقد بلغ عدد اليهود بهذه المساحة آنذاك 449020 شخصاً وعدد العرب ـ 509780 شخصاً. ونظراً لأن هذه الحالة لم تكن ملائمة لتحقيق الأهداف الصهيونية رفض الصهاينة الإجراءات التي أقرتها منظمة الأمم المتحدة الخاصة بتشكيل الدولة اليهودية، واغتصبوا السلطة فيها وشرعوا في تنفيذ الخطة الإجرامية الرامية لتصفية الشعب الفلسطيني بالأراضي التي

كان يجب تبعاً لحسابات الصهاينة أن تدخل في هذه الدولة. ولكي يتحاشى الصهاينة الاتهام بتهمة إبادة البشر طرحوا موضوعة مؤداها: أنه لا وجود للشعب العربي بفلسطين، بل يوجد "عرب يعيشون هناك".

وقد أثبت العديد من الدلائل، أكثر من مرة، حقيقة الطرد بالجملة لعرب فلسطين من الأراضي التي أضحت ضمن كيان إسرائيل، ودحضت هذه الدلائل بشكل دامغ التأكيدات الكاذبة للصهاينة بهذا الصدد. إلا أن الصهاينة والمتعاطفين معهم من الكتاب الأوربيين الغربيين والأمريكيين ما زالوا حتى الآن يقومون بالدعاية "لبراءة" الصهاينة من مأساة اللاجئين الفلسطينيين. لهذا فمن المناسب هنا أن نعطي صورة لحقيقة الأوضاع ولو باختصار.

ترك 250 ألفاً من الفلسطينيين ديارهم قبل إنشاء دولة إسرائيل، والسبب في ذلك، في المقام الأول، هو النشاط الإرهابي للصهاينة، وفي أثناء الأعمال الحربية بين إسرائيل والدول العربية "حفز" الجيش الإسرائيلي بصورة مكشوفة السكان المدنيين العرب على الخروج من الأراضي التي احتلها.

وأرغم العرب بقوة السلاح والخديعة على ترك يافا واللد والرمل ومناطق أخرى وغيرها من المدن العديدة التي كان يجب

أن تدخل ضمن كيان الدولة العربية تبعاً لقرار منظمة الأمم المتحدة، مع العلم بأن الصهاينة كانوا يطردون أشخاصاً "لم يرفعوا السلاح في يوم من الأيام ضد إسرائيل" ـ هكذا كان تصريح الصحفي الأمريكي دريبير. ونتيجة لذلك لم يبق قبيل نهاية الحرب الإسرائيلية العربية الأولى في الأراضي التي أصبحت تحت سيطرة القادة الصهاينة الإسرائيليين إلا حوالي 170 ألف عربي. وهكذا تحققت الأغلبية اليهودية المطلوبة. ولكن بأي ثمن تحقق هذا؟ لقد حرم مئات الآلاف من الأشخاص من وطنهم ومن وسائل المعيشة. فتبعاً لمعطيات منظمة الأمم المتحدة بلغ عدد اللاجئين العرب المسجلين فقط 960021 شخصاً في عام 1950.

كذلك أثار العدوان الإسرائيلي عام 1967 وأعمال الإرهاب التي قامت بها الطغمة الصهيونية العسكرية بالأراضي المغتصبة موجة جديدة من اللاجئين. واضطر البعض إلى الفرار مرة ثانية لينقذوا حياتهم من الصهاينة. وهكذا فنتيجة السياسة الإسرائيلية لخلق دولة "يهودية بحت" أصبح أكثر من 1.3 مليون شخص من سكان فلسطين الأصليين وهم عرب فلسطين يعيشون الآن خارج حدود فلسطين. وقد أكدت اللجنة الخاصة التابعة لمنظمة الأمم المتحدة والمشكلة لبحث أعمال الإرهاب التي يقوم بها المحتلون الإسرائيليون "أن الدولة التي قامت بالاحتلال

تمارس عن قصد ووعي سياسة طرد السكان العرب من الأراضي المحتلة". وكتب بيير دمرون: "حقاً، أن الدولة اليهودية تريد أن تكون يهودية بحت كما أرادت ألمانيا النازية أن تنظف نفسها من اليهود".

يجادل مفكرو الصهيونية قائلين: إن الامتلاك السياسي للبلد يعني امتلاك أكبر كمية ممكنة من الأراضي، ولكن الفلسطينيين الذين يملكون الأرض يشكلون عائقاً في سبيل ذلك، لهذا يجب نزع هذه الأرض، وبقطع صلة الفلسطينيين العرب بالأرض بهذه الطريقة يمكن تحقيق هدف آخر، ليس أقل أهمية من أهداف الصهيونية، وهو قطع الصلة السياسية للفلسطينيين ببلدهم. وبما أن الفلسطينيين "ليسوا شعباً" كما يزعم الصهاينة فيمكن نهبهم بلا وازع. بل وبطريقة "قانونية".

في 30 يونيو (حزيران) عام 1948 ظهر في صحيفة "أوفيشيال جازيت" الإسرائيلية مرسوم "عن المناطق المهجورة"، وسمح هذا المرسوم، بالإضافة إلى القرارات "الاستثنائية" التي أبقيت سارية المفعول، والتي قررتها الإدارة الاستعمارية البريطانية بمصادرة أرض الغير والممتلكات الأخرى "بشرط" واحد فقط وهو عدم وجود المالك في مكان ملكيته في لحظة معينة. وفي الفترة ما بين نوفمبر وديسمبر (تشرين الثاني وكانون الأول) من

نفس العام اتخذ الصهاينة مجموعة كاملة من القرارات الخاصة بملكيات "الغائبين". وفي عام 1950 ثبت الصهاينة الوضع الناجم عن تطبيق هذه "المراسيم الاستثنائية" بإصدار قانون خاص.

وتبعاً لتقييم لجنة المصالحة التابعة لمنظمة الأمم المتحدة تزيد كمية الأرض المزروعة والمنزوعة من العرب بمقدار 150 بالمئة عن كل ما كان يمتلكه اليهود من الأرض في فلسطين عشية تصفية نظام الانتداب ونشوء دولة إسرائيل. أما مساحة الأرض التي هجرها العرب فشكلت ما يزيد عن 80٪ من المساحة الكلية لدولة إسرائيل.

وأعلن أن الجزء الأكبر من هذه الأرض يعتبر ملكية "الغائبين". لهذا نقل إلى ملكية المستوطنين اليهود؛ وفي الفترة ما بين 1948 و1953 استفادت 350 مستعمرة زراعية يهودية من بين 370 مستعمرة بهذه الملكية. وفي عام 1954 كان أكثر من ثلث السكان اليهود في إسرائيل يعيشون على حساب ملكية الغير. وفقد العرب كلياً 388 مدينة وقرية و94 بلدة جزئياً. وشكلت البيوت المنزوعة من العرب آنذاك ربع مجمل مساكن إسرائيل، وأصبح عشرة آلاف دكان ومحل تجاري ودائرة عربية في أيدي اليهود مع العلم بأن الصهاينة لم ينهبوا اللاجئين فحسب بل وهؤلاء الذين بقوا في إسرائيل، وأطلق عليهم اصطلاح

"الحاضرين الغائبين" (وجد هذا الاصطلاح أيضاً استعماله في إسرائيل).

وفي مارس (آذار) عام 1953 نوقش في الكنيست مشروع قانون جديد للنهب وهو "قانون اكتساب الأراضي" الذي كان الغرض منه إعطاء صفة الشرعية لنقل الأراضي المصادرة من العرب إلى التعاونيات الزراعية اليهودية المسماة بكيبوتس. وكان الطابع الإجرامي لمشروع القانون هذا واضحاً لدرجة أن رئيس اللجنة القانونية للكنيست مارتن بوبر اضطر لأن يعلن أمام أعضاء الكنيست: "أن الهدف الحقيقي لقانون اكتساب الأراضي هو سرقة الأراضي من سكان الدولة الذين هم من المزارعين مثلكم ومواطني إسرائيل مثلكم. وبينكم وبينهم فارق واحد فقط: فهم عرب وأنتم يهود".

وتبعاً للتصريحات العلنية لمستشار رئيس الوزراء الإسرائيلي للشئون العربية صمويل توليدانو استمرت مصادرة ملكيات الأرض العربية "لأسباب متعلقة بالأمن" ولإسكان المستوطنين اليهود حتى قبيل حرب عام 1967.

وعمم المحتلون الإسرائيليون قوانين النهب على الأراضي المحتلة في عام 1967. فعلى أساس هذه القوانين اتخذ في 3 يوليو (تموز) عام 1967 مرسوم جديد "عن ممتلكات الأشخاص

المهجورة"، حصلت تبعاً له السلطات العسكرية الإسرائيلية على الحق في امتلاك الأموال والبضائع والممتلكات المنقولة وغير المنقولة للعرب الذين اضطروا لترك المناطق المحتلة.

على أية حال، لا يقتصر الأمر على النهب. فالأقلية العربية تتعرض للتفرقة العنصرية من قبل أنصار تحويل إسرائيل إلى دولة "يهودية بحت". والعربي الفلسطيني أو الهر كما يسميه بن جوريون بازدراء (أي الشخص أو الشعب الذي يعيش في بلد الغير) يتعين عليه لكي يصبح مواطناً لدولة إسرائيل أن يثبت بالوثائق اللازمة أنه كان "مواطناً فلسطينياً" أثناء وجود الإنجليز وأن يسجل نفسه بالإضافة إلى ذلك تبعاً لمرسوم "تسجيل السكان" لعام 1949. ولكن عندما كانت فلسطين واقعة تحت الانتداب كان جزء قليل من العرب يمتلك بطاقات للشخصية. كذلك لم يسجل عدد كبير من الأشخاص في السجلات لأن الموظفين الإسرائيليين... تجنبوا عند عمل السجلات مجموعة كاملة من القرى العربية..

إن العرب في إسرائيل جزء من السكان مهان ومضطهد إلى أقصى حد ومحروم من الحقوق كلها. ويستمتع القادة الإسرائيليون بالحديث عن تمتع المواطنين العرب بحق الاقتراع وبأن عدداً من العرب أعضاء الكنيست محاولين بذلك تصوير

أنفسهم ودولتهم في ضوء ملائم. حقاً، هناك أعضاء عرب بالكنيست، ولكن هل يغير ذلك شيئاً؟.

وقد كتب العالم الأمريكي دون بريتس "إن الطبيعة الخاصة لإسرائيل كدولة يهودية تعطي سكانها اليهود صلاحيات لا تمنحها لغير اليهود" أي لا يتمتع العرب بنفس الحقوق التي تمنحها القوانين الإسرائيلية لليهود، ويعد العرب "مواطنين من الدرجة الثانية" ويشغلون أدنى الدرجات في السلم الاجتماعي.

إن الاستغلال البشع للعمال بالأراضي المحتلة يعد من الأمثلة البينة لمعاملة الدولة الصهيونية للفلسطينيين العرب. وإليكم ما ذكرته الرابطة الإسرائيلية لحقوق الإنسان وحقوق المواطن في مذكرتها الصادرة بتاريخ 8 يونيو (حزيران) عام 1970 والموقعة باسم رئيس الرابطة الدكتور إسرائيل شاخاك ونائب رئيسها أوريل دافيس والموجهة إلى اللجنة الخاصة لمنظمة الأمم المتحدة: "لا يحصل العامل الفلسطيني على أجر مساو لأجر العامل الإسرائيلي مقابل نفس العمل، بل إن العامل الفلسطيني في واقع الأمر لا يحصل على أي أجر من صاحب العمل. فصاحب العمل يعطي الأجر للحكومة الإسرائيلية التي تخصم منه 40٪، وتعطي الباقي للعامل الفلسطيني. وتورد المبالغ المخصومة بهذه الطريقة

إلى صندوق خاص لدولة إسرائيل، وقد بلغ مجمل المبالغ المخصومة 50 مليون ليرة إسرائيلية حتى مايو (أيار) عام 1970". وتخصم هذه المبالغ بحجة تمويل المصاريف الاجتماعية مع أن القوانين الاجتماعية الإسرائيلية لا تسري على العمال الفلسطينيين القادمين من الأراضي المحتلة. وبمعنى آخر تقوم الدولة الصهيونية بشكل مكشوف بسرقة العمال العرب.

ولا يتمتع العرب الإسرائيليون بحقوق سياسية متساوية مع اليهود. فهم يعيشون في ظروف "نظام استثنائي" يستند على القوانين الاستعمارية في عهد السيطرة البريطانية التي قيمها الصهاينة أنفسهم في وقتها على أنها قوانين نازية ولكنهم مع ذلك... لم يبطلوا مفعولها بل استخدموها ضد السكان العرب فقط. وقد أحصى دون برتس 147 مرسوماً سارياً عام 1958 من المراسيم التي اتخذت تنفيذاً "للقوانين الاستثنائية" البريطانية.

ويوجد عدد من الأعضاء العرب بالكنيست. إلا أن العرب لا يمكنهم الوصول عملياً إلى وظائف المؤسسات الحكومية وخاصة الوظائف المسئولة. فحتى مكتب الشئون العربية لا يعمل به موظف عربي واحد! وقد عممت النظم الصهيونية على الأراضي المحتلة أيضاً. وجاء في المذكرة التي جرى الحديث عنها أعلاه: "يتميز الاحتلال الإسرائيلي برفض واضح لجميع حقوق

التعبير عن الرأي وإنشاء المنظمات السياسية. فقد منعت جميع أنواع المنظمات بما في ذلك جمعيات المساعدة المتبادلة ومجالس الدارسين وما شابه ذلك، ... ويتعرض قادة النقابات للاعتقال وللنفي على الدوام".

ويتضاعف التمييز بين اليهود والعرب وكل السكان غير اليهود بإسرائيل وفي الأراضي التي تحتلها بسبب سيطرة أكثر أوساط الدين رجعية في هذا البلد. فالديانة اليهودية بشكلها المشوه من قبل الصهاينة الذي يبعث على الاستنكار حتى بين المؤمنين بهذا الدين تقوم الآن بدور الحارس "لنقاوة العنصر". ويستخدم الحكام الإسرائيليون بشكل واسع هيبة الحاخامات اليهود في تنفيذ سياسة اضطهاد المواطنين غير اليهود. إن روح التعصب الديني المسيطرة في إسرائيل والممزوجة بالدعاية الصهيونية الواسعة والإجراءات التطبيقية تساعد على نفاذ الإيديولوجية العنصرية إلى أعماق المجتمع الإسرائيلي.

وقد أظهر استفتاء الإسرائيليين الذي أجراه معهد لويس هاريس الأمريكي بتكليف من مجلة "التايم" أن 23٪ من المستفتين أعلنوا أنهم سيشعرون بالضيق والحرج إذا اضطروا إلى الوجود جنباً إلى جنب مع العرب في مطعم ما، وأن 49٪ لا يرغبون في الحياة بجوار عائلات عربية، و أن 74٪ يعارضون وجود

صداقة بين أولادهم وأطفال العرب، وأن 84٪ يعارضون وجود عرب بين أصدقائهم وأقربائهم.

ليس من الصعب أن نعي لماذا يستمر العرب في الهجرة من إسرائيل، فالاضطهاد والمهانة اللتان يتعرضون لهما في الدولة الصهيونية لا يمكن تحملهما، لهذا يضطرون إلى الخروج من "الجنة الإسرائيلية".

لا يكتمل تقييم السياسة الإجرامية للقادة الإسرائيليين إذا لم نتحدث عن الجرائم الحربية والجرائم المعادية للإنسانية التي اقترفوها ولا يزالون يقترفونها. فالقتل وتعذيب السكان المدنيين وأسرى الحرب والاضطهاد لأسباب سياسية وعنصرية ودينية والنهب ـ كل هذه الجرائم وغيرها من الجرائم العديدة الأخرى تحدث في الأراضي العربية التي تحتلها إسرائيل. ولا تكاد توجد مادة واحدة من البيان العام لحقوق الإنسان واتفاقية جنيف للدفاع عن السكان المدنيين لم يخرقها الصهاينة.

ومن المعلوم للرأي العام العالمي أن القوات الإسرائيلية قتلت في بعض المناطق الأسرى أو تركت الكثير من البشر للموت في الصحراء. إن هذه القوات لم تقتصر على حرق الجنود العرب بالنابالم بل استعملت النابالم أيضاً لحرق السكان المدنيين واقتحمت ديار السكان المسالمين وفتحت النيران على كل من

وقعت عيونها عليه سواء كانوا شيوخاً أو نساءاً أو أطفالاً وحطمت معسكرات اللاجئين. وتبعاً للمعلومات الواردة من الرابطة الإسرائيلية لحقوق الإنسان تم تحطيم 7554 منزلاً بواسطة الديناميت أو البولدوزرات حتى 15 سبتمبر (أيلول) 1969 مع العلم بأن هذا العدد لا يشمل أرض مرتفعات الجولان السورية حيث تحولت القنيطرة إلى أطلال. وما زالت "سياسة الديناميت والبولدوزر" تجري في المناطق العربية بالقدس وفي قطاع غزة حيث تم في صيف 1971 وحده تحطيم 18.7 منازل طرد منها 15 ألف شخص، وهناك خطط لتحطيم ديار 90 ألف شخص آخرين.

ويمارس في الأراضي المحتلة تطبيق إجرامي "للعقوبات الجماعية" التي تعاني منها كثرة كبيرة لا ذنب لها من البشر. والطغمة العسكرية الصهيونية تعمل بالمبدأ الفاشيستي: إذا كان أخوك أو رفيقك أو جارك "إرهابياً" (هكذا يسمي المحتلون الفدائيين في العادة) فأنت مذنب أيضاً ويتعين عليك تحمل العقوبة. وقد جرت بعض حالات الشنق الجماعي في ساحات القرى وفي وجود حشد من السكان ساقه المحتلون للتخويف. كذلك أطلقت النيران على المظاهرات السلمية مثل المظاهرة التي نظمتها طالبات مدينة غزة. ويتعرض آلاف الأشخاص للاعتقال والسجن بلا محاكمة أو تحقيق. هذا مع العلم بأن المحاكم

العسكرية والسلطات الإدارية لا تحاول حتى إثبات إدانة المهتمين. فحسبها فقط أن المعتقل عربي والأسوأ من ذلك إذا كان شيوعياً. وحسبها أيضاً تلك "الاعترافات" التي يحصلون عليها نتيجة للتعذيب.

وقد حازت هذه "الطريقة" التي ابتكرها الجلادون الهتلريون القبول فأخذت تستعمل على نطاق واسع في أقبية التعذيب الإسرائيلية. وفي سبتمبر عام 1969 سردت بالمؤتمر العالمي الحادي والعشرين للصليب الأحمر المنعقد في استانبول مقتطفات من تقارير اللجنة الدولية لهذه المنظمة عن التعذيب الذي يجري في سجون الخليل وجنين ونابلس وطولكرم. ويظهر الجلادون الصهاينة تقنناً عجيباً وقسوة وحشية ويعرضون ضحاياهم الذين يوجد بينهم حتى النساء الحوامل والأطفال للعذاب الجسماني ولمختلف أنواع الإهانات البذيئة.

وكل هذه الحقائق ليست من اختراع "أعداء إسرائيل" بل هي حقائق أكدها العمل الدقيق الذي أجرته اللجنة الخاصة التابعة لمنظمة الأمم المتحدة. وكما كان منتظراً، لم يسمح الصهاينة لأعضاء اللجنة بزيارة أماكن حدوث الجرائم. إلا أن اللجنة استمعت إلى 133 شاهد عيان وكان من بينهم مجموعة كاملة من مواطني إسرائيل ذوي الأصل اليهودي ومن موظفي

المنظمات الدولية العاملين بإسرائيل. وعلى أساس ما شهدوا به وكذلك على أساس تصريحات أعضاء الحكومة الإسرائيلية والوثائق الأخرى استنتجت اللجنة أن "الحكومة الإسرائيلية تلجأ في الأراضي المحتلة إلى سياسة وتطبيق يعدان خرقاً لحقوق الإنسان". واعتبرت اللجنة أن الخرق الرئيسي لحقوق الإنسان يتمثل في الاحتلال ذاته.

إن ضمائر الحكام الإسرائيليين مثقلة بالجرائم البشعة. وليس من قبيل الصدفة سعيهم إلى التستر خلف النفي القاطع لأية اتهامات وخلف مختلف أنواع التلفيقات والافتراءات. وتتلخص واحدة من الخدع الدعائية العديدة للصهاينة في محاولتهم تعويد ملايين اليهود الذين يرفضون الصهيونية قطعاً ولا صلة لهم على الإطلاق بها على سياستهم الإجرامية والتسليم بها.

"إن الصهاينة ليسوا يهوداً كما أتصورهم بل هم نازيون يهود..." ـ هكذا قال المواطن الأمريكي، والد عازف الكمان ذي الشهرة العالمية موشي منوخين الذي خابت آماله في "المثل العليا" الصهيونية منذ زمن بعيد. "... لم أرد أبداً أن أذهب إلى إسرائيل، ذلك البلد الذي يتشبع بسرعة كبيرة بروح الفاشية" ـ هكذا كتب في صحيفة "الموند" البروفسور الفرنسي ليبوفيتش. كذلك استنكر حاخام أوديسا شفارتسبلات استنكاراً حاسماً

السياسة الصهيونية وذلك في قوله: "إذا سمينا الأشياء بأسمائها، فإن هذه السياسة لا تختلف في شيء عن سياسة هتلر". ويحتج على هذه السياسة الشيوعيون الإسرائيليون. كذلك فإن كل مواطني إسرائيل من ذوي العقل الراجح وكل من يعتز بالحرية الحقة والديموقراطية ينبذون هذه السياسة.

مجلة "ميجدونا رودنايا جيزن" ("والحياة الدولية")، 1971، العدد 12

العداء للاتحاد السوفييتي

مهنة الصهاينة

بقلم بولشاكوف

إن زيادة حدة الصراع الإيديولوجي بين النظامين العالميين ــ الرأسمالي والاشتراكي ــ يحتمها منطق تطورهما الاجتماعي الاقتصادي. وتلقى الإمبريالية إلى المعرفة بقوى جديدة وجديدة من احتياطيها المتضائل أبداً من "غزاة العقول" والمخربين الإيديولوجيين.

وتلعب الدوائر الصهيونية دوراً متزايد النشاط في هذا العمل الإمبريالي الموجه ضد الاشتراكية وضد قوى التقدم في العالم.

وقد جاء في موضوعات الحزب الشيوعي الإسرائيلي حول "المشكلة اليهودية والصهيونية في أيامنا هذه" ما يلي: "إن الصهيونية هي واحدة من أدوات الإمبريالية في صراعها الشامل

وفي نشاطها السياسي والأيديولوجي التخريبي ضد الاتحاد السوفييتي وضد كل النظام الاشتراكي العالمي لضعضعة النظام الاشتراكي من الداخل".

وتقوم الصهيونية بخدمة الإمبريالية نظراً للتشابه التام في الجوهر الطبقي لكل منهما. إن الصهيونية الحالية ما هي إلا أيديولوجية ونظام متشعب من المنظمات وتطبيق سياسي للبرجوازية اليهودية الكبيرة الملتحمة مع الدوائر الاحتكارية للولايات المتحدة الأمريكية والدول الإمبريالية الأخرى. والجوهر الأساسي لسياسة الصهيونية المعاصرة هو الشوفينية والعداء للشيوعية وللاتحاد السوفييتي.

ولا تقتصر أعمال الصهيونية على مساندة دولة إسرائيل فقط. فالاتحاد الدولي الصهيوني الممثل في المنظمة الصهيونية العالمية وفي شعبتها ــ المجلس العالمي اليهودي ــ وفي الفروع والشعب العديدة الأخرى يعتبر في نفس الوقت من أكبر اتحادات الرأسمال المالي ومركزاً عالمياً للتجسس ومؤسسة للافتراءات والتضليل.

ومن السمات المميزة وجود عدد من كبار رجال المال من مختلف الجنسيات بين هؤلاء الذين يمولون الآن بشكل منتظم نشاط المنظمات الصهيونية في كل أرجاء العالم ويقدمون

الإعانات لسباق التسلح في إسرائيل ولأعمال المخاطرة الحربية التي تقوم بها هذه الدولة.

إن رأس المال لا وطن له، وليست رعاية "الأخوة في الدم" هي ما توحد بين من يملكونه بل المصالح الطبقية المشتركة في المقام الأول.

وإذا تتبعنا علاقات المجموعات الاحتكارية الضخمة لرأينا أن مصالحها تشابكت تشابكاً وثيقاً. فعلى سبيل المثال يتقاسم بنك الخوة لأزار الأرباح الناجمة عن بترول الشرق الأوسط مع مجموعات روكفلر ومورجان، كما أن شركة "كوب لب اند كومباني" تتعاون تعاوناً وثيقاً مع رجال الأعمال والبنوك الألمان الغربيين خلال نظام المشاركات في مختلف المؤسسات الإسرائيلية. والأرباح المشتركة هي التي تحدد كراهيتهم المشتركة لشعوب البلدان العربية المنتجة للبترول والساعية في التصرف في ثروتها الخاصة، وترجع هذه الكراهية إلى الرغبة المشتركة في الإثراء على حساب هذه الشعوب. وهكذا كان الحال عندما وحدت رؤوس الأموال المفقودة، نتيجة لثورة أكتوبر، روتشيلد وروكفلر وأمثالهم في كراهيتهم للسلطة السوفييتية. فالآمال الموهومة في استعادة ما فقد مرة وإلى الأبد، والمخاوف من انتشار البولشفية هي التي حفزت آنئذ كل هؤلاء

على تمويل التدخل ضد بلاد السوفييتات، وهي التي تدفعهم الآن إلى إغداق الأموال اللازمة لأعمال الصهاينة التخريبية ضد الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الأخرى.

إن السياسة كما عرفها لينين ما هي إلا تعبير مركز إلى أقصى حد عن الاقتصاد. وفي هذا بالذات يجب أن نبحث عن أسباب الوجهة المعادية للشيوعية وللاتحاد السوفييتي التي تمارسها الصهيونية كتطبيق سياسي وكإيديولوجيا للبرجوازية اليهودية الكبيرة.

إن مفكري الصهيونية، وبالأخص جابوتينسكس (مؤسس الحزب الرجعي المتطرف "حيروت" والذي رفعته بعد وفاته رابطة الدفاع عن اليهود الفاشية إلى مرتبة المعبودين) قد حاولوا بشتى الطرق طمس الجوهر الطبقي للصهيونية. وقد زعم جابوتينسكي ما يلي: "نحن لا نعترف بأي تقييم للصهيونية من وجهة النظر الطبقية سواء كانت برجوازية أو بروليتارية. ويجب أن يتذكر الجميع ـ مرة وإلى الأبد ـ أن حركة بعث الشعب اليهودي لن تأخذ بعين الاعتبار أية معتقدات طبقية". لقد كتبت هذه الكلمات سنة 1936. ولكن حتى وقتنا هذا لا زال مفكرو الصهيونية يؤكدون بإلحاح أن: "جميع الأحكام المبدئية لجابوتينسكي لا تزال محتفظة بصحتها، وأن جميع استنتاجاته

صحيحة صحة مطلقة سواء بالنسبة للماضي أو الحاضر أو المستقبل".

وحول هذا بالذات قال ناعوم جولدمان بصراحة عندما كان رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية في مارس (آذار) عام 1964: "يجب أن نشن صراعاً وجهاً لوجه مع العالم غير اليهودي وحتى داخل الطائفة اليهودية من أجل حقنا في العيش **كأقلية منعزلة وكأقلية لا تكيف نفسها مع أي نظام أو أي بلد**. كذلك يتعين علينا أن نوجه الشعب اليهودي في إطار جهودنا ونضالنا من أجل حقنا المميز في أن نظل نفس الشعب اليهودي الذي كان موجوداً خلال آلاف السنين، وأن نظل شعباً موحداً حول مركزنا في إسرائيل...".

والإيديولوجيا الصهيونية المتمسكة بالعقائد الجامدة لمؤسسيها ما زالت تعمل حتى اليوم تحت راية السلام الطبقي بين المستغَلين والمستغِلين، وبين أصحاب الملايين اليهود من جانب والفقراء والعاطلين من جانب آخر. والصهاينة بتصريحهم أن الهجرة الجماعية إلى فلسطين (والآن إلى إسرائيل) هي الإمكانية الوحيدة لحل "المشكلة اليهودية" حاولوا ويحاولون الآن بشكل مصطنع جعل اليهود في موقف معارض للأجناس والشعوب الأخرى مصورين إياهم كشعب "مختار".

وليس المقصود بسياسة العزلة هذه في الظروف المعاصرة هو العزلة الجغرافية بل أن المقصود بالأحرى هو العزلة الاجتماعية السياسية والإيديولوجية. وقد جاء في موضوعات الحزب الشيوعي الإسرائيلي المذكورة أعلاه أن "الصهيونية ترفض إمكانية تغير وضع اليهود نتيجة لانخراطهم في نضال العمال والجماهير الشعبية من أجل الديمقراطية والاشتراكية، وتستهدف الصهيونية فصل اليهود عن النضال الاجتماعي ضد أمراض المجتمع الرأسمالي بما في ذلك النضال ضد العداء للسامية".

إن المصلحة الطبقية للبرجوازية في هذا الاتجاه لنشاط الصهاينة بين الكادحين اليهود تعد أمراً شديد الوضوح. ولهذا السبب بالذات حصل الصهاينة على تأييد تام من جانب القوى الإمبريالية الرئيسية ابتداء من خطواتهم الأولى. واستخدمهم الاستعماريون الإنجليز والقيصر الألماني لتحقيق أغراضهم الخاصة، وكذلك استخدمتهم الشخصيات السياسية التي هي في منتهى الرجعية في روسيا القيصرية أمثال بليفه وستولبين ثم كرنكي واستخدمهم الحرس الأبيض واتباع بتليورا في الحرب الأهلية. ولم يجد الصهاينة غضاضة في عقد تعاون مباشر معهم مستهدفين الاحتفاظ بالسيطرة على الجماهير اليهودية وعدم السماح لهم بالاشتراك في الثورة وفي النضال من أجل السلطة السوفييتية والاشتراكية.

وشنت السلطة السوفييتية منذ الأيام الأولى لنشوئها صراعاً لا هوادة فيه ضد المنظمات الصهيونية السرية المتعاونة بنشاط مع الثورة المضادة. ولم يكن "عداء البلاشفة للسامية" هو ما يحدد هذه السياسة التي انتهجتها الدولة السوفييتية، ذلك العداء الذي تحدث عنه الصهاينة في ذلك الوقت واختلقوا حوله ضجة لا تقل عن الضجة المفتعلة الآن. أما في حقيقة الأمر فقد كانوا يبحثون بكل ما أوتوا به من بصر عن أية أعراض للعداء للسامية لدى البلاشفة والسلطة السوفييتية، واحتدموا غيظاً حينما لم يكلل بحثهم بالنجاح، وكان من المستحيل أن ينجح سعيهم هذا، ذلك أن السياسة القومية للبلاشفة تتناقض تناقضاً جذرياً مع العداء للسامية كما تتناقض مع أي تعصب قومي على العموم.

وفي عام 1905 كتب جابوتينسكي: "أن العداء للسامية ـ وخاصة "إذا جعل مبدأ" ـ يعد أمراً ملائماً ومفيداً جداً كحجة للدعاية الصهيونية". ولهذا السبب بالذات تعاون جابوتينسكي تعاوناً وثيقاً في سنوات الحرب الأهلية مع بتليورا لإثارة العداء للسامية بشكل استفزازي. ولهذا أيضاً دخل الصهاينة في تكوين "حكومات" دنيكي وسكوروبادسكي وبتليورا وشكلوا وحدات عسكرية صهيونية وقفت ضد الدولة السوفييتية بالسلاح.

وكان العداء للسامية ملائماً للصهاينة الذين اعتبروه الوسيلة المثلى لإجبار الكادحين اليهود على الارتماء في أحضانهم أو على إنقاذ حياتهم من المذابح بالهجرة إلى فلسطين التي كان استيطانها عندئذ يجري على قدم وساق تبعاً لمخطط الاتحاد الصهيوني العالمي. وقد ساعدت على تحقيق هذا المخطط أعمال أتباع دنيكين وبتليورا وعصابات بولاك ـ بالاخوفيتش وماخنو الذين دبروا في الفترة ما بين عام 1918 وعام 1921. 152 مذبحة في الأراضي التي احتلوها وفي هذا المذابح عذب حتى الموت وقتل عشرات الآلاف من اليهود. ولم ينقذ اليهود من هذه المقاساة إلا السلطة السوفييتية.

لقد أيد الكادحون اليهود بفاعلية ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى وقضية بناء الاشتراكية. وكان هذا هو سبب أزمة الصهيونية في الاتحاد السوفييتي وساعد في تصفية النشاط السري للصهاينة.

إن قائمة أسماء غلاة الرجعيين الذين تعاون الصهاينة معهم لا تنتهي عند أسماء بتليورا ودنيكين بل تمتد لتشمل غيرهما.

ولطخ عملاء الاتحاد الصهيوني الذين مارسوا أعمالهم في سنوات الحرب في بلدان غرب وشرق أوروبا وبالجزء المحتل من أراضي الاتحاد السوفييتي سمعتهم بتحالفهم المشين مع الهتلريين.

فقد عرفت حالات عديدة عندما كان رجال الجستابو يختارون من بين الصهاينة حراساً في معسكرات الموت "وبوليسا" خاصة للمحافظة على النظام في الأماكن المخصصة لسكن اليهود (الجيتو) وكتب عدد من المواطنين السوفييت من ذوي الأصل اليهودي الذين يعيشون في أوكرانيا رسالة لصحيفة "برافدا" جاء فيها: "إن مأساة بابي يار لن تظل إلى الأبد تجسيداً لوحشية الهتلريين فحسب، بل وعاراً لا يمحى لشركائهم واتباعهم الصهاينة".

وحطمت الفاشية. وفي هذه المرة أنقذ الجيش السوفييتي ملايين اليهود من الإبادة. ولم يغفر الصهاينة هذا العمل للاشتراكية الأمر الذي قد يبدو متناقضاً من الوهلة الأولى. إلا أن ادعاء الصهاينة لدور منقذي اليهود ودعايتهم الذاتية التي تطبع بملايين النسخ كل ذلك لم يطمس في ذاكرة الشعب مأثرة الجندي السوفييتي الذي أطفأ شعلات النيران في مصانع الموت الهتلرية.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أصبح الصهاينة تحت الرعاية الكاملة للرأسمال الاحتكاري بالولايات المتحدة الأمريكية. ونشرت صحيفة "الجماميشمار" الإسرائيلية بتاريخ 5 أغسطس (آب) عام 1952 "توضيحاً" لخطبة وزير خارجية تل أبيب

شاريت في ذلك الحين الموالية للولايات المتحدة، وجاء في هذا التوضيح بالنص: "إن الاشتراك النشط ليهود الولايات المتحدة في بناء دولتنا يعتمد على القدر الذي **ستتكامل** به سياسة إسرائيل الخارجية مع **السياسة العامة لواشنطن**. ولن يساعدنا إخواننا اليهود فيما وراء المحيط إذا لم نخضع لإرادة حكومتهم".

ولقد اتضح أن الخضوع كامل. وأصبحت فروع الاتحاد الصهيوني العالمي سواء في إسرائيل أو في البلدان الأخرى لما يسمى "العالم الحر" تمارس بنشاط اتجاه السياسة الخارجية الأمريكية الذي تميز في سنوات "الحرب الباردة" بعدوانية حادة من طراز ما كان يدعو إليه دلاس وبعداء صريح للشيوعية. وكان هذا يروق تماماً لقادة الصهاينة الذين اشتدت كراهيتهم للاشتراكية نتيجة لأن قيام السلطة الشعبية في بلدان أوربا الشرقية جعلهم غير قادرين على مباشرة نشاطهم التخريبي هناك دون أن يتعرضوا للعقاب.

واكتسب العمل التخريبي للصهيونية ضد الحركة الشيوعية العالمية والعمالية وضد البلدان الاشتراكية طابعاً محموماً وهستيرياً لا سيما في فترة إعداد عدوان يونيو الإسرائيلي ضد الشعوب العربية المجاورة، وأصبح هذا العمل أكثر نشاطاً بعد ما قطعت غالبية البلدان الاشتراكية علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل.

وفي ديسمبر (كانون الأول) عام 1967 عام 1967 كتبت صحيفة "هآرتس" التي تصدر في تل أبيب بصلف وغرور أن إسرائيل (وتقصد الصهيونية) تتمتع بأكبر الإمكانيات اللازمة لتوجيه الضربات إلى الاشتراكية في بلدان أوربا الشرقية. واقترح مراسل هذه الصحيفة بلندن، المتخفى تحت اسم أليف شيم المستعار، خلق "الصعاب" في المعسكر الاشتراكي عن طريق إشعال روح التعصب القومي المتطرف بين المواطنين اليهود بالبلدان الاشتراكية مع استخدام وسائل الإعلام الخاضعة للإمبريالية وخاصة الراديو والتلفزيون لتحقيق هذا الغرض. وعلى سبيل المثال جاء فيما كتبه أنه "على إسرائيل أن تكون بمثابة الشوكة التي يتكون حولها بالتدريج الصديد في جسم الحركة الشيوعية".

وليس من قبيل الصدفة أن زيادة النشاط السياسي والأيديولوجي للصهيونية الموجه ضد الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الأخرى تنطبق تماماً مع تنفيذ ما يسمى "بنظرية مد الجسور" من قبل استراتيجيي السياسة الخارجية للولايات المتحدة.

وكانت أحداث عام 1968 في تشيكوسلوفاكيا التجربة العملية الأولى لهذه النظرية وللسياسة المبنية عليها التي وصفها جس هول الأمين العام للحزب الشيوعي للولايات المتحدة الأمريكية بأنها أداة "خلق أنفاق سرية إيديولوجية".

إن مخطط "الثورة المضادة الهادئة" قد خصص للاتحاد الصهيوني العالمي في أحداث عام 1968 في تشيكوسلوفاكيا دوراً ليس ثانوياً. وكان من بين المهام الملقاة على عاتق هذا الاتحاد الاستيلاء على الصحف والوسائل الأخرى للإعلام بتشيكوسلوفاكيا. وقام المركز الصهيوني بدور قيادي مباشر في هذه العملية.

وسعى الصهاينة للاستيلاء على جميع المراكز القيادية في جميع وسائل الإعلام في جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية توطئة لشن دعاية وقحة ضد النظام الاشتراكي في تشيكوسلوفاكيا وضد الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي وضد الاتحاد السوفييتي والحزب الشيوعي السوفييتي والأحزاب الشيوعية للبلدان الاشتراكية الشقيقة. وفي نفس الوقت ساعدت العناصر الصهيونية أجهزة المخابرات الإمبريالية في جمع معلومات التجسس.

ففي 30 مايو (أيار) عام 1968 وصل إلى تشيكوسلوفاكيا شخص يدعى برمبرج بوثائق تثبت أنه موظف بوكالة الأنباء الأمريكية "يوسيا" وتقابل في فندق "الكرون" ببراغ مع أرنشت لوستيج وهو الآن "كاتب" يعيش بإسرائيل. وفي مؤتمر مايو للكتاب السلوفاك (عام 1968) تحدث لاديسلاف نوفومسكي

عن هذا الشخص بالذات (أرنشت لوستيج) بكل تهكم واستهزاء. ووصف ادعاءات لوستيج وزملائه "التشيك" أمام التلفزيون بأنها "موالية لإسرائيل والصهيونية" بشكل واضح، وأضاف قائلاً أنهم لم يقوموا بعملهم هذا ككتاب بل "كخبراء متمرسين في المشكلة الإسرائيلية".

وقد قام لوستيج بمساعدة برمبرج على القيام بمقابلات في هيئة تحرير صحيفة "ليترارني ليستي" مع قادة اتحاد الكتاب التشيكوسلوفاكيين وقتئذ، الذي كان يرأسه الصهيوني جولدشتيكر، ثم نظمت زيارة لأكاديمية العلوم التشيكوسلوفاكية. وجاء في مواد وزارة الداخلية التشيكوسلوفاكية أن "معلومات غير رسمية عن الوضع الاقتصادي في تشيكوسلوفاكيا وتحليلاً للوضع في الجيش التشيكوسلوفاكي وأجهزة الأمن" كانت من بين الوثائق التي ضبطت في حوزة برمبرج.

وشاركت منظمات صهيونية ابتداء من المنظمة الصهيونية العالمية والمجلس العالمي اليهودي حتى "المجلس العالمي للصحفيين اليهود" في الأعمال التخريبية ضد النظام الاشتراكي في جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية.

وفي ذلك الوقت كانت تعمل بنشاط "لجنة اللاجئين التشيكوسلوفاكيين" في فيينا "ومركز تنسيق نشاط المناضلين من أجل حرية تشيكوسلوفاكيا" بإسرائيل. وكان الفرع الإسرائيلي يجمع الأموال اللازمة لإصدار صحيفة "ليترارني ليستي"، بوق الثورة المضادة في تشيكوسلوفاكيا. ونشرت صحيفة "معاريف" الإسرائيلية أنه ينبغي إرسال التبرعات على العنوان الآتي: بنك ديسكاونت، حساب رقم 450055، تل أبيب.

وفي أثناء إعداد الانقلاب المعادي للثورة في تشيكوسلوفاكيا قام عملاء الصهيونية بعمل دعاية نشطة لإعادة العلاقات الدبلوماسية بين تشيكوسلوفاكيا وإسرائيل. ولعب جولدشتيكر وشيك وكريجل دوراً هاماً في هذه الحملة.

وبعد أن قدمت قوات البلدان الخمسة الأعضاء بمعاهدة وارسو العون الأممي اللازم للشعب التشيكوسلوفاكي الشقيق في نضاله ضد الثورة المضادة انتقلت المنظمات السرية الصهيونية إلى طرق الصراع السرية، مع العلم بأن هذا العون كان بناء على طلب الآلاف من الشيوعيين التشيكوسلوفاكيين، بما في ذلك أعضاء من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي وحكومة جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية. وعمل غلاة الصهاينة بما في ذلك "المستشارون"

الإسرائيليون في الكثير من محطات الإذاعة السرية التي كانت تعمل في تلك الأيام من أراضي جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية وتذيع الافتراءات ضد الاشتراكية.

وفي نفس الوقت الذي لم يستنكف فيه الاتحاد الصهيوني العالمي ممارسة سياسة تصدير "الثورة المضادة الهادئة" إلى البلدان الاشتراكية دبر خططاً للقيام بحملة واسعة النطاق معادية للاتحاد السوفييتي. وبدأ الصهاينة "حملتهم" الجديدة "ضد البلشفية" بنفس الراية المهلهلة لـ"الدفاع عن اليهود المقيمين بالاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الأخرى. ووصل الأمر إلى حد استعمال الإرهاب السافر ضد المواطنين السوفييت الذين يعملون بالخارج.

وبالإضافة إلى الأعمال الاستفزازية الإرهابية الرامية إلى عمل دعاية واسعة وإلى الدعوة المستمرة لسياسة العداء للاتحاد السوفييتي دبر الاتحاد الصهيوني العالمي المحاولات للتدخل المباشر في شئون الاتحاد السوفييتي الداخلية وأعمال التجسس والتخريب السافرة. وليس نشاط "رابطة الدفاع عن اليهود المثال الوحيد لذلك.

وتجمعت 26 منظمة صهيونية بالولايات المتحدة الأمريكية في تكتل يطلق عليه "المؤتمر الأمريكي لبحث أوضاع اليهود

السوفييت" برئاسة الحاخام جرسل شاختير. ويحظى هذا "المؤتمر" بتأييد واسع النطاق من قبل الدوائر الحاكمة في إسرائيل ومن قبل الدوائر الرجعية في الولايات المتحدة الأمريكية. ويمكن أن نحكم على نوع العمل الذي يمارسه هذا "المؤتمر" بحملة الدعاية الجامحة ضد الاتحاد السوفييتي التي يشنها بجميع الوسائل المتاحة له.

إن ذلك العواء المعادي للاتحاد السوفييتي الذي يدوي اليوم من جميع الأبواق الصهيونية يرجع إلى كراهية الصهاينة الاشتراكية وإلى دورهم كمخربين إيديولوجيين في حرب الأفكار، تلك الحرب التي تخوضها الإمبريالية ضد الاشتراكية، والتي يحاول فيها القادة الصهاينة التشهير بالاشتراكية وأفكارها في أنظار الكادحين بالبلدان الرأسمالية، والنيل بقدر الإمكان، من إيمان كادحي البلدان الاشتراكية بالأفكار الشيوعية.

ويحاول الاتحاد الصهيوني العالمي توصيل مطبوعات صهيونية باللغة الروسية بشكل سري إلى الاتحاد السوفييتي وتنظيم ما يشبه النشاط السري الصهيوني في الاتحاد السوفييتي، وذلك بمساعدة السياح وبعض الصحفيين الغربيين

المعتمدين في الاتحاد السوفييتي ورجال الأعمال والطلبة القادمين للتدريب.

وتتضمن كتب الجيب المطبوعة بدقة بالغة على ورق رقيق افتراءات خسيسة على سياسة الحكومة السوفييتية. إن "فاعلي الخير"، الذين لا يرغبون في الكشف عن أسمائهم والذين يدعون حق التكلم باسم "جميع اليهود" ـ تلك الوسيلة المضللة القديمة والمبتذلة والتي دأبت الصهيونية على اتباعها ـ إنما يحاولون الإساءة إلى النظام السوفييتي والواقع الاشتراكي.

وهم لا يكتفون بالافتراءات بل يرشدون إلى كيفية العمل مثلما جاء في المنشور الصهيوني السري "إلى الوطن!": "يجب أن تشن الحرب بكل الوسائل ابتداء من الرسائل المغفلة الموجهة إلى الغرب، حتى الأعمال السافرة...". وهم لا يفكرون فقط في تجنيد مؤيدين جدد بل ويسارعون في تعريف غير العالمين بالميثاق الصهيوني. فقد جاء في أحد الكراريس أن "المبدأ الأساسي للعمل المتواصل للصهيوني بسيط للغاية.. فالصهيوني يجب أن يكون صهيونياً في كل خطوة من خطوات حياته. وعند أي حدث صغير أو كبير في حياته يجب أن يتأمل ويحاول أن يستفيد من هذا الحدث لخير قضيتنا. ولا يجب أن يذهب سدى لقاء واحد أو نزهة واحدة".

وليس من الصعب أن ندرك عن غير أية "قضية" يتحدث الصهاينة. فقد كتب بولدوين المعلق العسكري لصحيفة "نيويورك تايمز" بصراحة تامة: "إن المخابرات الإسرائيلية (وهي جزء من مخابرات المركز الصهيوني العالمي ـ مؤلف المقال) تبذل جهوداً ضخمة لجمع معلومات التجسس ذات الطابع العسكري والسياسي والاقتصادي في البلدان الاشتراكية ومن بينها الاتحاد السوفييتي".

ولكن "الخبراء" الغربيين يجدون أنفسهم مضطرين رغماً عنهم للاعتراف بأنه لا يقع في شبكات المخابرات الصهيونية بالاتحاد السوفييتي إلا القلائل من المرتدين. وقد كتبت الصحافة السوفييتية عن واحد من هؤلاء، وهو سولومون دولنيك الذي تم اعتقاله بتاريخ 26 مايو (أيار) 1966 وحوكم بتهمة النشاط المعادي للاتحاد السوفييتي. فما هي الظروف التي أدت بدولنيك إلى الخيانة؟ لقد أثبت التحقيق أن سبب سقوطه يكمن في صلاته المستمرة بموظفي السفارة الإسرائيلية التي كانت تباشر نشاطها في موسكو قبل قطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل. وتعرض لتأثير دعاية صهيونية مركزة وسولوا له بأن وطنه ليس الاتحاد السوفييتي بل إسرائيل. وهذه إحدى الطرق العادية التي تستخدمها المخابرات الإسرائيلية. وإذا ما اعتنق

الإنسان العقيدة الصهيونية فإنه يتحول تلقائياً إلى عميل للاتحاد الصهيوني العالمي وبالتالي إلى عدو الشعب السوفييتي.

ويكفي أن نعلم من يقف خلف ناشري المنشورات الصهيونية باللغة الروسية التي دار الحديث عنها أعلاه. فمن بين هؤلاء المليونير الصهيوني برنارد دويتش القاطن في بيروكلين. وهو نفس الشخص الذي يأخذ على عاتقه نفقات الحزب الصهيوني الفاشي "حيروت" وحركة "من أجل إسرائيل العظمى". ويدفع النقود لقاء كل عمل استفزازي وإرهابي ضد الاتحاد السوفييتي من أعمال "رابطة الدفاع عن اليهود" التي يتزعمها كاهاني. كذلك يمول دويتش بكل سخاء الرحلات الدعائية التي يقوم بها المرتدون والخونة أمثال شبرلنج وكازاكوف في الولايات المتحدة الأمريكية. وهو ليس مجرد صهيوني سخي "خير" ومعاد للاتحاد السوفييتي فحسب، بل هو أيضاً فاشي ومتطرف غاية التطرف لدرجة أن المنظمات الصهيونية "الوقورة" لا تميل إلى عمل دعاية لعلاقاتها معه. وهذا شيء طبيعي فرائحة إدارة الاستخبارات المركزية الأمريكية والإدارات الأخرى التجسسية التخريبية للإمبريالية تنبعث عن بعد من دويتش وكهاني وأمثالهما من القادة الصهاينة.

ومع هذا فالمنظمات الصهيونية سواء "الوقورة" أو العربيدة تمارس نفس الأعمال المشينة، والفرق الوحيد في التكتيك فقط.

و"الهجوم النفسي" الذي تمارسه الصهيونية لا يبعث في نفوس المواطنين السوفييت سواء كانوا من اليهود أو غير اليهود إلا السخط المشروع. ولن يعترف المواطنون السوفييت أبداً للعصابة الصهيونية التي لطخت نفسها بالجرائم الدموية أثناء الحرب ضد الهتلريين وفي الأراضي العربية المحتلة "بحق" التكلم باسم المواطنين السوفييت من ذوي الأصل اليهودي. لقد حان الوقت تماماً لكي يفهم السادة الصهاينة مرة وإلى الأبد أن الصهيونية ليس لها مكان ولن تجد لها مكاناً في المجتمع السوفييتي.

"البرافدا"، 18 ـ 19 فبراير (شباط) 1971

إسرائيل بعد حرب أكتوبر

بقلم خينين (إسرائيل)

احتدام التناقضات داخل الدوائر الحاكمة.

اتساع نشاط المناهضين للخط العدواني

لأكثر من ست سنوات ظلت إسرائيل الرسمية تردد أن الاحتفاظ بالأراضي العربية المحتلة في حرب يونيو (حزيران) 1967 ليس فقط أمراً مرغوباً فيه، لكنه ممكن أيضاً من الناحية العملية. وأنصار هذا الخط لا يزالون للآن يصرحون بأنه لو لم تكن الضفة الشرقية لقناة السويس ومرتفعات الجولان في قبضة إسرائيل عشية حرب أكتوبر 1973 لتعرضت لخطر رهيب. وهذه الادعاءات الديماجوجية التي لا أساس لها والقائلة بضرورة الحصول على "حدود آمنة" إنما تستهدف تضليل الجماهير الشعبية في إسرائيل، وتبرير السياسة المفلسة في أعين الرأي العام الإسرائيلي والعالمي، والاستمرار في إحباط الجهود الرامية إلى إقرار سلام عادل وطيد بين إسرائيل والدول العربية.

على النقيض التام من الواقع

خلال السنوات الأخيرة كلها، أحبطت الحكومة الإسرائيلية، استناداً إلى تأييد الإمبريالية الأمريكية، تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم 242 الصادر في 22 نوفمبر (تشرين الثاني) 1967. كما اعترضت على جميع المبادرات الدولية الرامية إلى تسوية أزمة الشرق الأوسط على أساس هذا القرار. وهذه التسوية، كما هو معروف، تعنى: انسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضي العربية المحتلة في حرب يونيو (حزيران) 1967، الاعتراف بحق جميع دول هذه المنطقة ـ إسرائيل والدول العربية على السواء ـ في الوجود المستقبل والأمن، الحل العادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين، حرية الملاحة عبر الطرق المائية الدولية للمنطقة بما في ذلك حرية مرور السفن الإسرائيلية عبر قناة السويس ومضيق تيران.

وبالموافقة على قرار 242 رأت مصر والأردن وبلدان عربية أخرى ضرورة مواصلة البحث عن الحلول الملائمة التي تقوم على أساس هذا القرار. وفي فبراير (شباط) 1971، رداً على مذكرة يارنج مبعوث الأمم المتحدة، صرحت الحكومة المصرية باستعدادها لتوقيع اتفاقية سلام مع إسرائيل وقبول الضمانات لحدود جميع دول المنطقة بما في ذلك إسرائيل، على شرط انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي المحتلة في حرب يونيو.

إلا أن حكومة إسرائيل قابلت هذه المذكرة على نحو آخر. فهي قد صرحت بأنها لن تعود إلى حدود 4 يونيو، وبأن الحدود المقبلة لا يجب فقط أن تكون معترفاً بها وآمنة كما جاء في القرار المذكور، بل يجب أيضاً أن تكون "متفقاً عليها"[1]. وهكذا حاول حكام إسرائيل إملاء شروطهم "للتسوية" وإرغام الدول العربية على الاعتراف بضم أراضيها.

والآن أصبح واضحاً أكثر من أي وقت مضى أن التنفيذ الفوري لقرار 242 كان من شأنه أن يجنب اليهود والعرب على حد سواء كل ما تكبدوه من تضحيات جسيمة، ويُبقي على المليارات العديدة من الموارد التي أنفقت على المتطلبات الحربية، كما كان بوسعه أن يحول دون نشوب حرب أكتوبر التي قضت على أرواح آلاف جديدة من الناس. وباختصار فإن تنفيذ قرار الأمم المتحدة كان يمكن أن يؤدي إلى السلام العادل الوطيد في الشرق الأوسط.

إن تطلع الدوائر الحاكمة في إسرائيل إلى الضم هو الذي عطل ويعطل حل أزمة الشرق الأوسط. فقبل شهر واحد من وقوع

---

[1] عند الكلام عن "الحدود المتفق عليها" تعنى الحكومة الإسرائيلية أن تسفر المفاوضات السلمية عن حدود جديدة لإسرائيل تضم بعض الأراضي العربية المحتلة. (الناشر).

حرب أكتوبر أقر حزب العمل الحاكم ما تسمى "بوثيقة جاليلي" وهي بمثابة برنامج للتوسع وتخليد الاحتلال للأراضي العربية عن طريق سياسة "الأمر الواقع". ونتيجة للضغط الملح من جانب التوسعيين مثل دايان والمتطرفين من أقصى اليمين أصبحت هذه الوثيقة برنامجاً انتخابياً لكتلة حزب العمل وحزب "مابام". وبعد حرب أكتوبر اعترف وزير المالية سابير، الذي ينسب في قيادة حزب العمل إلى "المعتدلين"، اعترف بأن هذه الوثيقة قد أقرت تحت ضغط القوى المشار إليها. ويقول سابير: "لو لم أعط صوتي "لوثيقة جاليلي"... لقتلوني...".

ويصف وزير العدل السابق شابيرو ـ وهو أحد قادة حزب العمل ـ "وثيقة جاليلي" بأنها تجسيد لآمال الدوائر الحاكمة في حل مشاكل الأراضي المحتلة مع مرور الزمن (إن لم تكن كل الأراضي فليكن جزء أعظم منها" بحيث تبقى هذه الأراضي في حوزة إسرائيل "بالضم أو التكامل أو الإلحاق". ولم يكن هناك مانع من أن يتمتع سكان هذه المناطق بالجنسية الأردنية مع بقائهم تحت الإدارة الإسرائيلية. وهكذا على حد تعبير شابيرو كان التجمع الحاكم في إسرائيل يتصور تطبيق شعاره: "لا خطورة نحو الوراء" الذي يجسد سياسة اغتصاب الأراضي.

ومع انتهاج خط توسعي لم تكن إسرائيل الرسمية ترغب في مراعاة أبعاد الواقع المعاصر: تغير موازين القوى في العالم لصالح السلام والاستقلال الوطني والاشتراكي، تعمق المضمون الاجتماعي المعادي للإمبريالية والذي اكتسبته حركة التحرر الوطني في الشرق الأوسط. أن دوائر إسرائيل الحاكمة لم ترغب في ملاحظة التأييد المتزايد في العالم كله للشعوب العربية المناضلة في سبيل استعادة أراضيها المحتلة، والاتساع المتزايد للاعتراف الدولي بالحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربي.

لقد أصبحت عزلة إسرائيل على الصعيد الدولي أوضح ما تكون إبان وفي أعقاب حرب أكتوبر. فقد رفض عدد من دول أوربا الغربية السماح أن تمر بمجاله الجوي الطائرات الأمريكية التي تحمل العتاد الحربي لإسرائيل. كذلك فقد أصدر وزراء خارجية البلدان التسعة الأعضاء في السوق الأوربية المشتركة بياناً يعلن ضرورة تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم 242. كما قطعت 28 دولة إفريقية علاقاتها الدبلوماسية بإسرائيل.

لم تقابل سياسة إسرائيل التوسعية بالتأييد إلا من جانب تلك القوى في العالم الرأسمالي التي تسعى لتقويض الانفراج الدولي والحيلولة دون انتصار مبادئ التعايش السلمي بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة، وإعادة عجلة التاريخ إلى

الوراء، وإرجاع العالم إلى مرحلة "الحرب الباردة". ولقد علقت الدوائر الحاكمة الإسرائيلية كل آمالها على الإمبريالية الأمريكية اعتماداً على فاعلية العملاء الصهاينة في الولايات المتحدة وعلى السمعة الذائعة بالتفوق العسكري على العرب.

أزمة سياسة الاغتصاب

قبيل حرب أكتوبر وفي أيامها الأولى ترددت في إسرائيل تصريحات تنم عن الغرور والادعاء مثل: "إذا نشبت الحرب فسوف تكون أقصر من حرب الأيام الستة عام 1967"، "سوف يقضى على الجيوش العربية قضاء مبرماً". وطبقاً لشهادة اسحاق رابين سفير إسرائيل السابق في الولايات المتحدة (ورئيس الوزراء الحالي ـ الناشر). فقد كانت الولايات المتحدة تتوقع هي الأخرى أن "إسرائيل سوف تقضى في ساعات محدودة على أي هجوم للمصريين". "في وسع جيش إسرائيل خلال ساعات ـ كما قال الجنرال شارون في يوليو (تموز) 1973 ـ أن يدمر القاهرة ودمشق ويهدد أية عاصمة عربية". وقد اعتبر إسرائيل دولة حربية في مرتبة بريطانيا وفرنسا. وفي أيام معارك أكتوبر اعتبر دايان الحرب الجديدة "حرب يوم الحساب" للدول العربية.

والآن تتردد في إسرائيل تصريحات على شاكلة أخرى. فهم يتكلمون عن "الزلزال"، "وانهيار كثير من التصورات التقليدية". ويعترف أبا ايبان "فإفلاس نظرية الأمن التي كانت تنطلق من مفهوم التجميد الإقليمي والسياسي..." للأزمة. وهو يحاول التخلي عنها. وبدوره يصرح الجنرال بليد بأنه "بعد حرب "مريرة" لثلاثة أسابيع لم يتحقق الهدف وهو "تدمير قوة العدو". وحتى موشى دايان يرفض اعتبار نفسه ضمن أولئك الذين يقررون أن "المصريين والسوريين قد هزموا وأننا انتصرنا". وقد اضطر بعض المعلقين العسكريين الإسرائيليين إلى الاعتراف بالكفاءة القتالية العالية للجيوش العربية، وببسالة وتفاني جنودها وضباطها، واتسامهم بالتلاحم والانضباط.

لقد أخذت التناقضات تحتدم داخل حزب العمل بين أولئك الذين يسمون "صقوراً" والذين يسمون "حمائم". "فالصقور" بالتعاون مع مجموعات المعارضة اليمينية المتطرفة في إسرائيل يحاولون أن يخفوا عن الجماهير الشعبية إفلاس سياسة "من مواقع القوة"، الرامية إلى تخليد اغتصاب الأراضي. أن هذه الدوائر تبذل الآن كل ما في وسعها لتركيز اهتمام الرأي العام حول ما يسمى "بنقص تدابير الأمن" الذي يزعمون أنه ظهر عشية أحداث أكتوبر. بهذه الصورة يريدون تبرير الخسائر الفادحة

التي تكبدتها القوات الإسرائيلية وفشل مخططاتهم الحربية. والجدير بالذكر أن قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار في 22 أكتوبر (تشرين الأول) 1973 هو، على الأخص، الذي لا يوافق هوى "الصقور". فهم يطالبون الحكومة الإسرائيلية التي أعلنت رسمياً موافقتها على هذا القرار بأن تواصل من الناحية العملية وضع كافة العراقيل في طريق التوصل إلى السلام في الشرق الأوسط.

إن دوائر حزب العمل المعتدلة نسبياً، والمسماة بالحمائم، قد أخذت الآن تقيم الخط السياسي للحكومة بصورة انتقادية متزايدة. ويتضح هذا ضمن ما يتضح من المواد التي نشرت مؤخراً في صحيفة "دافار" شبه الرسمية.

وعلى سبيل المثال فقد كتب بلوخ ــ أحد أعضاء هيئة التحرير: "علينا أن نذكر دائماً أن هدفنا الأساسي هو تحقيق السلام. فليس هناك ما يمكن أن يكون بديلاً للسلام. فهو الذي يتيح الفرصة الوحيدة لدرء حرب جديدة...".

ويقول الكاتب تاوب بخيبة أمل: "إن حدود 1967 الآمنة، التي يمكن أن يحتل مديحها وإطراؤها مجلداً ضخماً، لم تصمد أكثر من ستة أعوام دارت خلالها حرب الاستنزاف المريرة الضارية...".

ويصرح رئيس تحرير "دافار" السابق جوتخيلف بقوله: "قال الصقور لنا إن السلام لا يضمن درء الحرب. ولكن انعدام السلام لا يمكن أن يكون هذه الضمانة! نحن نحتاج إلى حدود آمنة، لكننا لسنا أقل حاجة إلى السلام. فالسلام بالذات هو الذي يخلق الحدود الآمنة أكثر بكثير مما تستطيع الحدود الآمنة أن تحقق السلام".

على أن ضعف موقف "الحمائم" يكمن في أنهم هم الآخرون يقرنون حل أزمة الشرق الأوسط بضم جزء من الأراضي العربية المحتلة. لكن المهم الآن هو شيء آخر: فقد أخذت تتحقق النبوءة بأنه مع التغييرات في المسرح الدولي بما في ذلك في الشرق الأوسط، ومع ازدياد قوة النضال ضد سياسة الاغتصاب داخل إسرائيل ذاتها، تزداد حدة التناقضات داخل حزب العمل، ويحدث تحول إيجابي في مواقف القاعدة الجماهيرية العريضة للحزب.

إن الوضع الداخلي القائم في إسرائيل يساعد على هذا التطور. ذلك أن الحرب الأخيرة قد كلفت إسرائيل، طبقاً للتقديرات الرسمية، 17 مليار ليرة إسرائيلية (حوالي 4 مليار

دولار)، وأكثر من ذلك طبقاً لتقديرات أخرى[1]. كما أن مديونية إسرائيل الخارجية التي تزايدت بمعدل مذهل، قد وصلت في بداية 1973 إلى 4.2 مليارات دولار. ويدل هذا الرقم العملاق على مدى تبعية إسرائيل سياسياً واقتصادياً للولايات المتحدة الأمريكية. وتحاول البرجوازية الكبيرة والحكومة تحميل الكادحين وطأة النفقات العسكرية. فإلى جانب التبرعات التي تجمعها الحركة الصهيونية من البلدان الرأسمالية، والمساعدات الأمريكية الجديدة للعسكرتاريا الإسرائيلية، قررت الحكومة الإسرائيلية فرض قروض عسكرية إجبارية و"اختيارية". فهي قد رفعت أسعار الوقود والطاقة الكهربية، وقللت المعونة المخصصة لأسعار السلع الزراعية، وزادت الضرائب غير المباشرة والتعريفة الجمركية على الواردات. ونتيجة لكل هذه الإجراءات جرى ارتفاع عام في الأسعار...

---

[1] وفقاً لتقديرات إسحاق رابين رئيس أركان الحرب السابق والسفير السابق لإسرائيل في الولايات المتحدة ورئيس الوزراء الإسرائيلي الحالي فإن كل ساعة من الحرب كلفت إسرائيل 50 مليون ليرة (10 مليارات دولار). هذا دون حساب النفقات من العملة الصعبة.

الطريق إلى السلام

لقد ناضل الشيوعيون الإسرائيليون دائماً ولا زالوا يناضلون ضد سياسة الحكومة المعادية للشعب والوطن. وفي السادس من أكتوبر (تشرين الأول) 1973، في اليوم الذي تجددت فيه العمليات القتالية في الشرق الأوسط أعلن المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي بياناً دعا فيه إلى: "وضع حد لإراقة الدماء!"، "إنهاء الاحتلال والضم!"، "إقرار سلام عادل دائم!". ولقد أشار البيان إلى أن المسئولية عن نشوب الحرب تقع على كاهل الحكومة الإسرائيلية التي تستمر في احتلال الأراضي العربية، وإحباط كافة جهود الأمم المتحدة الرامية إلى إقرار السلام والمبادرات الدولية الأخرى. كما أشار البيان أيضاً إلى أنه حتى في ذاك الوضع الاستثنائي توجد إمكانية لإقرار السلام عن طريق التطبيق الكامل لقرار مجلس الأمن رقم 242 الصادر في 22 نوفمبر (تشرين الثاني) 1967 بما في ذلك تحرير الأراضي العربية المحتلة في حرب 1967 وضمانة حق الوجود المستقل لدولة إسرائيل والاعتراف بالحقوق القومية المشروعة لشعب فلسطين العربي.

إن دروس الأعوام الأخيرة لم تلقن للمجتمع الإسرائيلي سدى. ففي إبان أحداث يونيو (حزيران) 1967 وما بعدها مباشرة

كان صوت الشيوعيين ضد الحرب يتردد منفرداً في إسرائيل. أما في خلال حرب أكتوبر 1973 فقد بان الوضع مختلفاً. ففي أثر بيان الحزب الشيوعي الإسرائيلي توالى بيان أعضاء مجموعة "سياح" (اليساريون الجدد الإسرائيليون) الذي ألقى التبعة الرئيسية للحرب على كاهل الحكومة. كذلك فإن المثقفين الكادحين والمبدعين وبعض الشخصيات الاجتماعية قد طالبوا بوضع حد لإراقة الدماء، وبإقرار السلام على أساس قرار مجلس الأمن رقم 242 دون أي ضم. وتخطو هذه الدوائر الخطوة التالية حين تشير إلى أن السلام لا بد أن يقوم على أساس الاعتراف بحقوق إسرائيل والحقوق القومية لشعب فلسطين العربي.

ويتسع في إسرائيل فهم السياسة البناءة التي يتبعها الاتحاد السوفييتي في الشرق الأوسط. وتطالب جماهير متزايدة بإعادة العلاقات مع الاتحاد السوفييتي إلى مجراها الطبيعي. ولقد كشفت حرب أكتوبر من جديد عن مدى الدور الكبير الذي تلعبه الدولة الاشتراكية الأولى في حماية السلام وحقوق الشعوب. فهي تقف دائماً وبثبات ضد سياسة الاغتصاب التي تنتهجها الدوائر الحاكمة في إسرائيل، ومن أجل إقرار سلام وطيد في الشرق الأوسط على أساس التطبيق الكامل لقرار مجلس الأمن رقم 242. ولقد لعب الاتحاد السوفييتي دوراً حاسماً

في وقف إراقة الدماء أثناء الحرب الأخيرة. وما أعظم دوره في اتخاذ قرار مجلس الأمن رقم 338 الصادر في 22 أكتوبر (تشرين الأول) 1973 والذي يقضي بوقف إطلاق النار والتطبيق الفوري لقرار 242 الصادر في تشرين الثاني 1967، وبدء المفاوضات بين الأطراف المعنية تحت الإشراف المناسب.

لقد عبر ليونيد بريجنيف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي في خطابه أمام المؤتمر العالمي لقوى السلام الذي عقد في موسكو، عبر بمنتهى الوضوح عن موقف الاتحاد السوفييتي من أزمة الشرق الأوسط، حين قال: "انطلاقاً من المبادئ العامة للسياسة الخارجية الاشتراكية كما من واقع وجود هذه المنطقة على قرب مباشر من حدودنا، فإننا حريصون على أن يقوم في الشرق الأوسط سلام وطيد وعادل حقاً، وعلى ضمانة أمن جميع بلدان وشعوب هذه المنطقة وحقهم في بناء حياتهم كما يحلو لهم. ومن هنا بالذات فقد أصر الاتحاد السوفييتي دائماً، على أن تعاد إلى الدول العربية الأراضي التي تحتلها إسرائيل، وعلى أن يسود العدل إزاء الشعب الفلسطيني". واستطرد قائلاً: "إننا نطالب بحزم بأن تكفل لجميع ـ وأكرر ـ لجميع الدول والشعوب في الشرق الأوسط ضمانات السلام

والأمن وحرمة الحدود. والاتحاد السوفييتي مستعد لأن يشترك في تحقيق الضمانات اللازمة".

إن السعي إلى مثل هذا السلام قد بدأ يلقى قبول المزيد من الناس في إسرائيل أيضاً. إن السلام في الشرق الأوسط، الذي تحرص عليه جميع شعوب المنطقة والبشرية جمعاء، سوف يحمل معه بشائر الخلاص من خطر الحرب، واستقرار الحدود والاعتراف بها، وسوف يساعد على تعبئة جهود وموارد بلدان الشرق من أجل التنمية الاقتصادية والتعاون فيما بينها.

إن الحزب الشيوعي الإسرائيلي ليستهدف خلق جبهة سلام تضم أنصار السلام على اختلاف آرائهم السياسة وانتماءاتهم الحزبية. فالشيوعيون الإسرائيليون يرون واجبهم الوطني والأمم في النضال ضد سياسة الاغتصاب والضم، ومن أجل درء حرب جديدة، ومن أجل التحول في السياسة الإسرائيلية نحو السلام والاستقلال والتقدم الاجتماعي. وهم يقرنون هذا النضال بالبحث عن السبل لتعزيز وحدة العمل بين الكادحين والدفاع عن مصالحهم ضد الغلاء وازدياد الضرائب والبطالة.

إن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي تدعو كافة القوى المحبة للسلام إلى الوحدة وتشديد النضال ضد السياسة الرسمية المغامرة، ومن أجل اتباع سياسة جديدة قادرة

على دفع إسرائيل في اتجاه السلام. وتشير وثائق الدورة العاشرة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي، المنعقدة في 3 ـ 4 ديسمبر (كانون الأول) 1973، تشير إلى أن الوقت لا يعمل لصالح حكومة إسرائيل. ففي الشرق الأوسط والعالم كله تنشأ ظروف سياسية واقعية لإقرار السلام العادل الوطيد.

مجلة "قضايا السلام والاشتراكية"، عام 1974، العدد 2

النضال ضد الإيديولوجية

والممارسة الصهيونية ـ

ضرورة حيوية لشعب إسرائيل

ولجميع القوى التقدمية

من مواد الحزب الشيوعي الإسرائيلي

(من قرار المؤتمر السابع عشر للحزب الشيوعي الإسرائيلي عام 1972)

يقدر المؤتمر السابع عشر أن التغييرات في تناسب القوى في العالم في غير صالح الإمبريالية ولصالح الاشتراكية، وفشل جهود الإمبريالية العسكرية، التي كانت موجهة لتغيير مسيرة التطور التاريخي في مناطق مختلفة من العالم، وفشل الإمبريالية الاقتصادي في سباقها مع المنظومة الاشتراكية العالمية ـ كل هذا أدى إلى فشل خط استراتيجية الإمبريالية العالمي، الذي برز بعد الحرب العالمية الثانية.

في هذا الوضع يحتل النضال الإيديولوجي مكاناً حاسماً أكثر من أي وقت مضى. وفي هذه الظروف الجديدة أكثر مما في فترات سابقة تستخدم الإمبريالية الصهيونية كإحدى الأدوات الهامة في نضالها ضد الاشتراكية وحركة العمال العالمية وضد حركة التحرر الوطني.

وصار تنظيم حملات التحريض المعادية للاتحاد السوفييتي بمساعدة الصهيونية، واستخدام المنظمات الصهيونية لخلق توتر دولي للتخريب على الجهود لتعزيز التعايش السلمي بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة ـ ظاهرة مبرمجة في السنوات الأخيرة أكثر مما كانت عليه في الفترات السابقة. وتستغل الحركة الصهيونية بمنظماتها المختلفة، بشكل سيء مشاعر التعاطف التي تكنها الأوساط التقدمية في بلاد مختلفة تجاه الجماهير اليهودية بعد إبادة 6 ملايين منها على أيدي الوحش الهتلري في أوروبا، وذلك لتضلل هذه الأوساط في كل ما يتعلق بسياسة حكام إسرائيل والمنظمات الصهيونية. لذلك هنالك أهمية خاصة لعملية شرح أساسي للصهيونية في أيامنا، في النضال ضدها، إيديولوجية وتطبيقاً.

***

التقـدير الماركسـي اللينـيني حـول طـابع الإيديولوجيـة الصـهيونية وتطبيقهـا لـيس فقـط أنـه لم يصـبح عتيقـاً، بـل يجـد تأكيداً لصحته في أيامنا. والصهيونية رجعية إيديولوجية وتطبيقاً للأسباب التالية:

أن الإيديولوجيـة الصـهيونية رجعيـة لأن منطلقهـا قـومي وعنصري. الصهيونية تزعم أن الحل للقضية اليهودية، أي مسألة تحرير اليهود من الاضطهاد ومن اللاسامية ـ بتركهم البلاد التي يعيشـون فيهـا وهجـرتهم إلى إسـرائيل. وبهـذا تتجاهـل الجـذور الطبقية ـ الرأسمالية ـ للاسامية وترفض الحل الصحيح والواقعي الوحيـد، إلا وهـو تغـيير النظـام وانتصـار الديموقراطيـة والاشـتراكية. وهـذه النظريـة الصـهيونية هـي عنصـرية لأنهـا تفـترض، مسـبقاً، إنـه مـن غـير الممكـن، في ظـل أي نظـام، أن تعيش شعوب مختلفة في إخوة وصداقة مع بعضها. وتطبق ذلك بنوع خاص على اليهود. إن هذه التعاليم تشبه لا سامية معكوسة. الإيـديولوجيون الصـهيونيون ينسـبون إلى الشـعوب الأخـرى غـير اليهود، نفس الصفات التي ينسبها اللاساميون إلى اليهود لأنهم يهود. وهاتان النظريتان الصهيونية واللاسامية مصدرهما واحد: العنصرية. وهدفهما زرع الفرقة بين كادحي الشعوب المختلفة، في مصلحة العدو الطبقي.

وتزعم الصهيونية أن على الكادحين اليهود أن ينعزلوا عن سائر الكادحين من أبناء الشعوب الأخرى، من أجل خلق جبهة واحدة ومنظمة واحدة مع البرجوازية اليهودية، مع العدو الطبقي، من أجل تحقيق أهداف الصهيونية. لذلك تثقف هذه النظرية الصهيونية اليهود على المصالحة الطبقية. وطبقاً لهذه النظرية هناك مصلحة مشتركة بين المليونيريين اليهود في نيويورك وبين اليهود من فقراء الشعب في الدار البيضاء في المغرب أو في الأحياء الفقيرة في القدس. وتقود النظرية الصهيونية إلى انقسام الكادحين على أساس يهود وغير يهود، وتساعد أصحاب الرساميل في كل الأقطار الرأسمالية التي تنشط فيها على دق أسفين بين الكادحين على أساس قومي.

إن جزءاً جوهرياً من الإيديولوجية الصهيونية هو النظرية الرجعية وغير الواقعية القائلة بوجود أمة يهودية عالمية تتخطى الحواجز الإقليمية، وبوجود مصالح فوق طبقية مشتركة لليهود في العالم كله. وهذه النظرية تحاول أن تخلق بشكل مصطنع أمة واحدة من الناس لا يعيشون على أرض مشتركة، ولا في ظروف اقتصادية مشتركة، وليس لهم لغة مشتركة ومميزات وثقافة مشتركة. أما في الواقع فهناك حركة صهيونية عالمية ولكن ليس هناك أمة يهودية عالمية.

إن الصهيونية تستخدم وسائل الإكراه في دولة إسرائيل لفرض مفاهيم إيديولوجية تتناقض مع الحياة نفسها ومع تطورها. إن رفض المحكمة العليا تسجيل الدكتور ى.تامرين، حسب طلبه بأن قوميته إسرائيلي (بدل يهودي) انطلاقاً من فرض مبدئي أنه "لا توجد أمة إسرائيلية منفصلة" عن الشعب اليهودي العالمي، هو قرار صهيوني متعسف يتناقض مع الواقع وحتى مع الوعي الإسرائيلي المتطور عند اليهود في إسرائيل.

في استفتاء أجري في المدارس الثانوية الرسمية نشرت نتائجه في كانون الثاني 1972 أجاب 90٪ أن "إسرائيليتهم تسبق يهوديتهم". (يديعوت أحرونوت 12 كانون الثاني 1972).

والحركة الصهيونية رجعية، لأنها دائماً ومنذ ثورة اكتوبر كانت تتآمر على النظام الاشتراكي، وسعت إلى فصل الكادحين اليهود عن الكادحين من أبناء الشعوب الأخرى في الأقطار الاشتراكية. ومن أفظع الأدلة على النشاط الصهيوني في أيامنا هو النشاط الهدام في خدمة الإمبريالية ضد الأنظمة في الأقطار الاشتراكية. وفي هذا المجال تستغل الإمبريالية ـ التي تحاول العمل بين السكان المحليين داخل الأقطار الاشتراكية ـ الصهيونية بشكل خاص. وفي السنوات الأخيرة أصبح التحريض على الأقطار الاشتراكية يجري بواسطة أجهزة الدولة الرسمية.

والصهيونية رجعية، لأنها خلال كل تاريخها عملت في خدمة الإمبريالية. والزعماء الصهيونيون تعاونوا وما زالوا يتعاونون مع الدول الإمبريالية ضد قوى الاشتراكية والتحرر الوطني.

الصهيونية في الشرق الأوسط تشكل أداة عسكرية وسياسية في يد الإمبريالية ضد الحركة الوطنية العربية، ضد القوى والدول المعادية للإمبريالية في المنطقة، وشوفينية معادية للعرب ونهب الأرض من الفلاحين العرب واحتلال العمل والطموح إلى الحد الأقصى من المناطق مع الحد الأدنى من العرب فيها ـ كل هذا هو ما يميز السياسة الصهيونية في البلاد قبل إقامة دولة إسرائيل وبعدها. لقد كانت هذه السياسة ولا تزال كولونيالية معادية للعرب وموالية للإمبريالية.

حرب السويس ــ سيناء، التي نظمت في تحالف مع الإمبريالية الفرنسية والبريطانية، أيدتها كل الأحزاب الصهيونية بدون استثناء. وحرب حزيران 1967، التي نظمت بمساعدة عسكرية واقتصادية وسياسية من الإمبريالية الأمريكية والدول الاستعمارية الأخرى أيدتها كل الأحزاب الصهيونية في البلاد وكل المنظمات الصهيونية في الخارج.

وأخيراً:

الإيديولوجية والممارسة الصهيونيتان رجعيتان، لأنهما تتناقضان ومصالح العاملين اليهود في كل مكان وضد مصالح الشعب الإسرائيلي القومية. فالسياسة الصهيونية في أقطار سلطة رأس المال تساعد القوى الرجعية، والعنصرية واللاسامية. لذلك فكل تأييد للسياسة الصهيونية ليس فقط أنه لا يشكل تأييداً للمصالح القومية الحقيقية للشعب الإسرائيلي ومصالح الكادحين اليهود بل يعارضها.

والصهيونية ليس أنها لا تضمن الأمن لشعب إسرائيل بل إنما تعرضه للخطر. فالسياسة الصهيونية المهيمنة في دولة إسرائيل تهدد أمن الدولة ومستقبلها، وتضع الشعب في إسرائيل على فوهة بركان، وتترك مصير إسرائيل تحت رحمة الإمبريالية وتعزلها عن العالم العربي المحيط وتثير فيه حقداً عليها، كما تعزلها عن العالم الاشتراكي وعلى رأسه الاتحاد السوفييتي وعن شعوب آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية التي تناضل ضد الاستعمار من أجل تحررها الوطني والاجتماعي.

ولهذا فإن هذا النضال ضد الإيديولوجية والممارسة الصهيونية هو نضال إسرائيلي وطني، وهو النضال من أجل المصالح القومية الحقيقية لشعب إسرائيل ومن أجل مصالح

الكادحين اليهود في كل مكان، ومن أجل القضية العامة للسلام واستقلال الشعوب والديموقراطية والاشتراكية.

والإيديولوجية والتطبيق للصهيونية هي تربة خصبة لظهور ولتقوى الأحزاب والجماعات الصهيونية ـ الفاشية، التي تستخدم أساليب الإرهاب ـ بالاعتداءات والحرائق والتهديد ـ والتي من أجلها تقيم الصهيونية المنظمات شبه العسكرية مثل عصب الراب كهاناً. إن القيادة الصهيونية في إسرائيل وفي الولايات المتحدة وأقطار أخرى قد تتحفظ أحياناً، لاعتبارات تكتيكية، من نشاط هذه الجماعات، ولكن هذه القيادات عملياً تستند هذه الجماعات الفاشية وتشجع نشاطها وتقوم وسائل إعلامها الجماهيرية بالنشر الواسع عن نشاطها.

ويستنتج مما تقدم أنه لا توجد ولا يمكن أن توجد صهيونية تقدمية. إن الإيديولوجية الصهيونية ذاتها رجعية، كما أن الممارسة الصهيونية كانت وما تزال ممارسة رجعية. وإلى جانب هذا، يرى حزبنا الانقسام الطبقي في المجتمع الإسرائيلي كأمر حاسم وكنقطة انطلاق لاستراتيجيته وتكتيكه. فهناك صهيونيون وهناك جماعات صهيونية، لهم، على الرغم من إيديولوجيتهم الرجعية، مواقف صحيحة تجاه هذه النقطة العينية، أو تلك في القضايا الاجتماعية أو السياسية. لذلك رأى

ويرى حزبنا الإمكانية والضرورة في التعاون في مسائل اجتماعية وسياسية عينية مع كل شخصية أو هيئة سياسية لها موقف صحيح من هذه المسألة المعينة. ويواصل الحزب مع ذلك الصراع الفكري والسياسي العام ضد الصهيونية. لذلك يناضل حزبنا من أجل وحدة الكادحين بغض النظر عن الإيديولوجيا والانتساب الحزبي، من أجل المصالح اليومية للكادحين. فمثلاً يناضل حزبنا من أجل جبهة سلام موحدة، من جميع أولئك الذين يعارضون سياسة الحكومة في إسرائيل ويؤيدون سلاماً بدون ضم إقليمي، بغض النظر عن وجهة نظرهم الإيديولوجية وحتى بغض النظر عن موقفهم من مسألة طبيعة حرب حزيران 1967، من أجل جبهة عمال موحدة للدفاع عن مصالح الكادحين.

التطور التاريخي الموضوعي، والتغيرات في توازن القوى في العالم، لصالح الاشتراكية وضد الإمبريالية وانعدام الأفاق التاريخية أمام الإيديولوجيا والسياسة الصهيونية ـ كل هذا يؤثر وسيؤثر على الكادحين وجماهير الشعب في بلادنا في اتجاه الفهم الصحيح لطريقنا الفكري، وصحة سياستنا التي تخدم بأقصى الإخلاص مصالح عموم الكادحين في إسرائيل، اليهود والعرب، والمصالح القومية للشعب الإسرائيلي ومصالح كل الشعوب في منطقتنا ومصالح الاشتراكية والتقدم في العالم كله.

وملخص القول أن الصهيونية تتناقض ليس فقط مع مصالح الاشتراكية والتحرر الوطني والمصلحة العامة للسلام والتقدم الاجتماعي، بل، وليس بمقدار أقل تتناقض أيضاً مع مصالح الأمة الإسرائيلية اليهودية ذاتها والتحرر القومي لإسرائيل من التبعية الخطيرة للإمبريالية، كما تتناقض مع مصالح جماهير الكادحين اليهود حيثما كانوا.

والحركة الصهيونية العالمية، بجميع منظماتها المختلفة، تزعم، دون أساس واقعي، تمثيل اليهود في العالم أجمع. أن الأكثرية الساحقة لليهود في العالم غير منتمية إلى الحركة الصهيونية ولم تفكر ولا تفكر في الهجرة إلى إسرائيل. حتى في ظروف قيام دولة إسرائيل وفي ظروف سهلة من التمويل العالمي الواسع من الأقطار الغربية للهجرة، فإن قسماً ضئيلاً فقط من اليهود في العالم يربط مصيره بدولة إسرائيل وعدداً كبيراً ممن هاجروا إلى إسرائيل هجروها عملياً. من هنا الاستنتاج التاريخي بأن الحركة الصهيونية كانت وظلت تياراً واحداً، وليس التيار المهيمن بين اليهود في العالم، تياراً يعبر عن المصالح الطبقية للبرجوازية الكبيرة اليهودية التي تشكل جزءاً لا يتجزأ من الرأسمال الاحتكاري للدول الإمبريالية وتعبر عن مصالح الرأسمال الكبير الإسرائيلي المرتبط بالرأسمال الأجنبي،

ويتناقض هذا التيار مع مصالح الأغلبية الساحقة من اليهود في العالم. أما اليهود في إسرائيل فإن الصهيونية تتناقض مع مصالح الكادحين الاجتماعية والمصالح القومية الحقيقية للشعب الإسرائيلي.

الماركسية ـ اللينينية التي توضح الطريق للتحرر الوطني والاجتماعي للشعوب توضح الطريق أيضاً لتحرر إسرائيل القومي من التبعية للاحتكارات الأجنبية والدول الإمبريالية، ولتعزيز أمن إسرائيل على أساس راسخ من إقامة علاقات الصداقة والتعاون مع الشعوب العربية المجاورة، مع الاتحاد السوفييتي والأقطار الاشتراكية الأخرى، مع حركة الشعوب العظيمة المعادية للإمبريالية، وتوضح طريق إسرائيل إلى الاشتراكية.

الحق العادل للشعب العربي الفلسطيني

(قرار الدورة الثالثة للجنة المركزية

للحزب الشيوعي الإسرائيلي 6 ـ 7 أكتوبر 1972)

تبرز اللجنة المركزية، بقلق، تزايد التصعيد في سياسة الحكومة العدوانية. إن تصريحات رئيسة الحكومة ج.مئير إلى التلفزيون البريطاني في 72/9/28 ضد حقوق الشعب العربي الفلسطيني وضد وجوده القومي، هي استمرار لقصف القرى ومخيمات اللاجئين الفلسطينيين في سوريا ولبنان الذي جرى يوم 72/9/9 ويوم 72/9/26 للقضاء على حركة المقاومة الفلسطينية وعلى وجود الشعب العربي الفلسطيني.

وتستنكر اللجنة المركزية تصريحات رئيسة الحكومة التبجحية القومية المتطرفة، ضد وجود الشعب العربي الفلسطيني القومي، وضد حقه في تقرير مصيره، وتستنكر أعمال العدوان العسكري التي لا تجري إلا لتحقيق هذا الهدف. وتحذر اللجنة

المركزية من أن كل محاولة من جانب أي شعب لحرمان شعب آخر من حقوقه المشروعة هو سيف ذو حدين قد يرتد إلى نحو راميه. ومن أن كل محاولة لحرمان الشعب العربي الفلسطيني حقه بالوجود القومي يعطى مبرراً أساسياً للاعتراض على حقوق الشعب الإسرائيلي القومية وعلى وجود دولة إسرائيل.

إن قرار الجمعية العمومية للأم المتحدة في سنة 1947 الذي يشكل القاعدة الشرعية الدولية لقيام دولة إسرائيل، قائم على الاعتراف بحقوق الشعبين كليهما، الشعب الإسرائيلي والشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيريهما واستقلالهما القومي.

إن حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره، لحق لا يتزعزع، وليس في وسع أية تصريحات شوفينية وأية أعمال عدوانية أن تلغى هذا الحق الأساسي. فقد الشعب العربي الفلسطيني من حقه أن يعين الشكل الذي يقرر فيه مصيره، ضمن الدولة الأردنية، أو بإقامة دولة مستقلة أو بأي شكل آخر.

وتستنكر اللجنة المركزية مواقف الأوساط الحاكمة، وتجاهلها التام للشعب العربي الفلسطيني ولحقه بالوجود ولحقوقه، وتؤكد أن السلام العادل الناجز لا يمكن قيامه دون الاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني العادلة.

وتؤكد اللجنة المركزية أن سياسة حكومة جولده مئير وأعمالها معزولة عن التطور الواقعي في العالم وفي الشرط الأوسط، ومحكوم عليها بالفشل الذريع.

ولقد استغلت حكومة إسرائيل جريمة ميونخ، ومقتل 11 رياضياً إسرائيلياً بريئاً، حجة للقيام بالأعمال العدوانية على سوريا ولبنان، التي حضر لها منذ زمن وكان الهدف منها القضاء على الحركة القومية الفلسطينية.

واستنكر حزبنا الشيوعي الإسرائيلي جريمة منظمة "أيلول الأسود" في ميونخ. ويعود اجتماع اللجنة المركزية ليستنكر هذا العمل الإجرامي. ويشجب حزبنا مبدئياً أعمال الإرهاب الفردي ضد مدنيين آمنين. ولقد عادت جريمة ميونخ بالضرر الكبير على نضال الشعب العربي الفلسطيني ضد الاحتلال وفي سبيل حقوقه القومية العادلة، بتشويهها طابع النضال وبإعطائها الحجة لمن يريدون حرمانه من حقوقه كي يستمروا في أعمالهم المغامرة.

ومع ذلك، يجب أن نبرز أن أعمال العنف المأساوية، كالتي حدثت في ميونخ، إنما تنبت على خلفية استمرار الاحتلال الإسرائيلي للمناطق المحتلة، ودوس حقوق الشعب العربي الفلسطيني.

والطريق الوحيد لوضع حد لسفك الدماء والقضاء على النزاع في منطقتنا، هو في إحلال السلام العادل الناجز، بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم 242، الذي يعني انسحاب القوات الإسرائيلية من جميع المناطق التي احتلت في حزيران 1967، واعتراف إسرائيل بحقوق الشعب العربي الفلسطيني العادلة، واعتراف الدول العربية بدولة إسرائيل وحقوقها المشروعة.

وتدعو اللجنة المركزية جميع قوى السلام وذوي المسؤولية القومية في إسرائيل لينا ضلوا ضد سياسة حكومة ج.مئير ـ ديان المغامرة والتي تمنع السلام.

وتدعو اللجنة المركزية جميع قوى السلام لترص صفوفها وتعمل متعاونة للحيلولة دون اندلاع حرب جديدة، ولبلوغ السلام المأمول، الذي فيه فقط، الأمن للشعوب.

جريدة "الاتحاد" 13 أكتوبر (تشرين الأول) 1972، العدد 44.

المحتوى

اعرف عدوك/ تقديم: أ.مالك صقور.....5

مقدمة.....31

خرافات الصهيونية السبع/ بقلم شاهنوفيتش 58

الخرافة الأولى: حول "أبدية العداء للسامية" 63
الخرافة الثانية: عن "الجنس اليهودي".....65
الخرافة الثالثة: حول "الأمة اليهودية العالمية".....71
الخرافة الرابعة: "حول الوحدة اليهودية 73
التي تخرج عن الإطار الطبقي".....73
الخرافة الخامسة: حول مضار اندماج اليهود: 75
الخرافة السادسة: حول الجوهر الديني للصهيونية: 77
الخرافة السابعة: حول "أرض الميعاد" 81

المنشأ والجوهر الرجعي

للمبادئ السياسية الصهيونية/ بقلم دييف 84

الاشتراكية الديماجوجية الزائفة 85
الجوانب الدينية للصهيونية:.....90
الشوفينية والعنصرية البرجوازية.....94
التطور الرجعي للأيديولوجية الصهيونية.....98

الصهيونية أداة الإمبريالية/ بقلم نيكيتينا.....107

صهيونية عادية/ بقلم كوروف.....118

مثل اللص والدركي.....118
المشاركة في القتل.....125
إسرائيل التي يطمحون إليها.....129
قبضة الإمبريالية 135

الصهاينة يقوضون الأمن والسلام العالمي/ بقلم لابتيف 141

التوشيح الصهيوني.....142
اتجاه جديد 145
التروست الاستعماري للصهيونية 153

السياسة الإجرامية للمتطرفين الإسرائيليين/ بقلم لادييكين.....161

العداء للاتحاد السوفييتي مهنة الصهاينة/ بقلم بولشاكوف 181

إسرائيل بعد حرب أكتوبر/ بقلم خينين (إسرائيل) 201

احتدام التناقضات داخل الدوائر الحاكمة. 201
اتساع نشاط المناهضين للخط العدواني 201
على النقيض التام من الواقع 202
أزمة سياسة الاغتصاب 206
الطريق إلى السلام 211

النضال ضد الإيديولوجية والممارسة الصهيونية

من مواد الحزب الشيوعي الإسرائيلي.....216

الحق العادل للشعب العربي الفلسطيني

(قرار الدورة الثالثة للجنة المركزية
للحزب الشيوعي الإسرائيلي **6 – 7** أكتوبر **1972**) 227

إصدارات سلسلة

كتاب الجيب السابقة

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
1	المقاومة مختارات قصصية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
2	المقاومة مختارات شعرية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
3	القصة القصيرة في سورية الراحلون	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
4	علامة الشام أحمد راتب النفاخ	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007
5	رفقة السلاح ... والقمر	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007
6	صوت في الظلام قصص لبطالية	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2007
7	الخرز الملون خمسة أيام في حياة نسرين حوري - رواية وثائقية	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2007
8	الأديب - النص - الناقد / د. طه حسين ميخائيل نعيمة - فؤاد الشايب - د. محمود أمين العالم - بدر شاكر السياب	د. خالد البرادعي	د. حسن حميد	2007
9	ظاهرة (الأدب الصهيوني) / إطلالة على :(المصطلح النشأة الموضوعات)	محمد توفيق الصواف	محمد توفيق الصواف	2007
10	أبو خليل القباني رائد المسرح العربي	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2007
11	نازك الملائكة	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2007
12	الشاعر محمد الحريري مختارات	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2007

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
13	عبد الله عبد مختارات قصصية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007
14	الإصلاحيون أحمد أمين	د. حسين جمعة	د. خالد محي الدين البرادعي	2007
15	مختارات من أدب الأطفال	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
16	يالبل ونصوص أخرى	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
17	وداعاً يا دمشق	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
18	ماري عجمي في مختارات من الشعر والنثر إصدار الرابطة الثقافية النسائية في دمشق 1944م	د. حسين جمعة	عيسى فتوح	2008
19	إنصاف المرأة	د. حسين جمعة	عيسى فتوح	2008
20	أحب الشام -ناديا خوست	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
21	التراب الحزين بديع حقي	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
22	القصيدة الدمشقية وقصائد أخرى- نزار قباني	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
23	مختارات من نوح العندليب شفيق جبري	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
24	مختارات من أعمال الأديبة غادة السمان	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
25	مختارات قصصية للأديبة قمر كيلاني	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
26	مقالات دمشق - مكان وسكان وألوان	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2009
27	سميح القاسم - الصورة الأخيرة في الألبوم	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
28	مقهى الباشورة -خليل السولحري	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
29	جبـرا ابـراهيم جبـرا- عـرق وقصص أخرى	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
30	محمـود درويـش - مختـارات شعرية من دواوينه والانترنت	د. حسين جمعة	فاديا غبور	2009
31	عائد إلى حيفا وأعمال أخـرى- غسان كنفاني	د. حسين جمعة	فاديا غبور	2009
32	عذبة رواية- صبحي فحماوي	د. حسين جمعة	فاديا غبور	2009
33	حكايـــة الولـــد الفلســـطيني 1971- أحمد دحبور	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
34	أسـئلة الثقافـة فـي الفـدس والمقاومة- مقالات- المتوكل طه	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2009
35	مختارات من شعر علي الجندي	د. حسين جمعة	محمد حمدان	2010
36	الجولان فـي القصـة السـورية (حضور المكان)-علي المزعل	د. حسين جمعة	فاديا غبور	2010
37	(الامريكي) أحمد رفيق عوض	د. حسن حميد	فاديا غبور	2010
38	ملكوت البسطاء- رواية -خيري الذهبي	د. حسن حميد	فاديا غبور	2010
39	مختارات قصصية رقصـة ليلـة الوداع - رشاد أبو شاور	د. حسن حميد	فاديا غبور	2010
40	شقيق الكمـالي ـــ مختـارات شعرية زبير سلطان قدوري	زبيـــر ســـلطان قدوري	فاديا غبور	2010
41	الأعلام الشـعري فـي التـراث العربي - أحمد سويلم	د. حسين جمعة	فاديا غبور	2010
42	الظل الثالـث وقصـص أخـرى مختارات قصصـية - د. خليفـة صالح أحواس	د. حسين جمعة	فاديا غبور	2010
43	بريجيـت مأسـاة تمثيليـة ذات خمسة فصول-يوسف نعمـة الله جد	د. حسين جمعة	فاديا غبور	2010

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
44	انطوان تشيخوف دراسات ونصوص د. شاكر خصباك	د. ابراهيم الجرادي - عبد العزيز المقالح	د. ابراهيم الجرادي - عبد العزيز المقالح	2010
45	عبد الله البردوني قصائد مختارة ودراسات	د. حسين جمعة	د. ابراهيم الجرادي	2011
46	القصيدة تبحث عن نفسها (شعراء التسعينيات والأنماط الشعرية السائدة)	د. ابراهيم الجرادي	د. ابراهيم الجرادي	2011
47	مختارات من أدب الخيال العلمي العربي - رقم 004 بأمركم	د. طالب عمران	د. طالب عمران	2011
48	الله والغريب مختارات شعرية سلامة عبيد	فؤاد الكحل	د. ثائرزين الدين	2011
49	ماياكوفسكي غيمة في سروال	مالك صقور	د. ابراهيم الجرادي	2011
50	سليمان العيسى- الياس : أمل يستنسخ أوصافه	د. ابراهيم الجرادي	د. ابراهيم الجرادي	2011
51	محمد الفراتي ماخوذا بالوردة والسيف مختارات شعرية	د. حسين جمعة	شاهر امرير	2011
52	نزيه أبو عفش حارس الآلام	د. ابراهيم الجرادي	د. ابراهيم الجرادي	2011
53	الشاعر العربي الحديث مسرحياً	د. علي جعفر العلاق	د. ابراهيم الجرادي	2011
54	حكم النبي محمد ليف تولستوي	مالك صقور	مالك صقور	2011
55	جان جاك روسو المصلح الاجتماعي - محمد عطية الأبرشي	مالك صقور	مالك صقور	2012
56	بدر شاكر السياب- منزل الأقنان	مالك صقور	مالك صقور	2012
57	حي بن يقظان لابن طفيل الأندلسي	د. جميل صليبا- د. كامل عياد	مالك صقور	2012
58	بدوي الجبل (محمد سليمان الأحمد) عام 1968 مدحة عكاش-	د. حسين جمعة	مالك صقور	2012

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
59	ابن الرومي حياته من شعره ج1 عباس محمود العقاد	مالك صفور	مالك صفور	2012
60	ابن الرومي حياته من شعره ج2 عباس محمود العقاد	مالك صفور	مالك صفور	2012
61	كان ما كان - ميخائيل نعيمة	مالك صفور	مالك صفور	2012
62	إمرأة من برج الحمل - اعتـدال رافع	ماجدة حمود	ماجدة حمود	2012
63	من النكبة إلى المقاومة والتجديد	مالك صفور	مالك صفور	2012
64	الأعاصير - الشـاعر القـروي رشيد سليم الخوري	د. حسين جمعة	د. ثائرزين الدين	2012
65	عبـد اللطيـف عقـل دراسـات ومختارات	ياسين فاعور	ياسين فاعور	2012
66	حكيم الدهر أبو العلاء المعري	مالك صفور	مالك صفور	2012
67	الاصدار الأول للموقف الأدبي	مالك صفور	مالك صفور	2012
68	عبقريات العقاد (دراسة وتحليل)	مالك صفور	د. حسين جمعة	2013
69	الاشتراكية والأدب	مالك صفور	د. حسين جمعة	2013
70	رباعيات عمر الخيام	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	2013
71	طبـائع الاسـتبداد ومصـارع الاستعباد	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	2013
72	ليس لدى الكولونيل من يكاتبه		مالك صفور	2013
73	ما الشعر العظيم؟	د. نزار بريك هنيدي	د. حسين جمعة	2013

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
74	الشعر بين الفنون الجميلة	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
75	الفقـــه والتصـــوف والمســـائل الشرعية في الخلافة	أ. محمـــد رائـــب الحلاق	مالك صقور	2013
76	صالح العلي ثائراً وشاعراً	أ. د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
77	أبو القاسم الشابي شاعر الشباب والحرية	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
78	أنا من سلالة الصخور	د. نزار بني المرجة	مالك صقور	2013
79	الأديـــب والمفكـــر أبـــو حيـــان التوحيدي	د. نزار بني المرجة	مالك صقور	2013
80	الأدب للشعب	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2014
81	مديح الظل العالي	أ. د. حسين جمعة	مالك صقور	2014
82	معارك فكرية	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2014
83	واقعية بلا ضفاف	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
84	كيف تعلمت الكتابة	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
85	السيف والترس	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
86	بعث الأمة العربية ورسالتها إلـى العالم	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
87	الغربال	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
88	الله	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2014
89	عصا الحكيم	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
90	الفارابي	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2014

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
91	الأدب الثوري عبر التاريخ	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2014
92	المسألة اليهودية	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2015
93	مذكرات مستر همفر	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2015
94	صوت أبي العلاء	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2015
95	فن الأدب (جزء 1)	مالك صقور	رضوان فضملي	2015
96	فن الأدب (جزء 2)	مالك صقور	رضوان فضملي	2015
97	الإسلام بين العلم والمدنية	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2015
98	حكيم الدهر أبي العلاء المعري	مالك صقور	مالك صقور	2015
99	شظايا من عمري	شاهر أحمد ناصر	مالك صقور	2015
100	لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2015
101	الدين والعلم والمال		مالك صقور	2015
102	غابــة الحــق (أفــق التنــوير وجماليات السرد)	نذير جعفر	د. نضال الصالح	2015
103	في الحياة والأدب	نذير جعفر	د. نضال الصالح	2015
104	إن الأدب كان مسؤولاً	مالك صقور	د. نضال الصالح	2016
105	أسرة المرّاش الأدبية في حلب	د. نضال الصالح	عيسى فتوح	2016